# الفصل الرابع

# مرحلة الثورات والانقلابات

# الفصل الرابع

# مرحلة الثورات والانقلابات

## انقلاب بكر صدقي ( 1936 )

كان لوجود الملك (فيصل) الأول أثر بالغ في لم شمل العراقيين، فقد كان يقف من الجميع على مسافة واحدة، متخذا من معيار الوطنية والكفاءة أساسا للتفاوت النسبي، بين أفراد المجتمع. وما أن تولّى (غازي) المُلك بعد موت أبيه، حتى تعرض العراق لهزات اجتماعية عنيفة، نتيجة سياساته الخاطئة[1]، لكونه شابا قليل الخبرة، تسيره العواطف والأهواء، فضلا عن اعتماده على رجالات من العسكر، الذين تفننوا في الدسائس والمؤامرات، ومنها الاعتماد على تحريض العشائر على خصومهم السياسيين، بهدف الوصول إلى كرسي الحكم[2]. فهم والانكليز على السواء[3].

وبدأت لعبة العشائر مع حكومة (جميل المدفعي) في (15) آذار (مارس) سنة (1935)، عندما قدمت استقالتها على إثر قيام بعض رؤساء القبائل بتحريض من بعض الساسة بإعلان الثورة عليها لإسقاطها، بحجة عدم كفاءة بعض شخوصها[4] ولتدارك الموقف، ودرءاً للفتنة، استدعى الملك (غازي) زعيم المعارضة آنذاك (ياسين الهاشمي) لتشكيل وزارة جديدة، وتم ذلك في اليوم (السابع عشر) من شهر آذار (1935)[5]. ونتيجة لسياسات الهاشمي القومية، ووقوفه إلى جانب الثورة الفلسطينية، عام (1936) فضلا عن سياسات وطنية أخرى تنسجم مع سياسة الملك (غازي)، المتمثلة بالدعوة للقومية العربية، وتحرير الكويت وإمداد فلسطين بالمال والسلاح[6]، وقد أثارت تلك السياسات، حفيظة

---

(1) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 249.

(2) ينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 236.

(3) ينظر: الرسالة العراقية: 165. وينظر: الجواهري صحفيا: 201. وينظر : الجواهري ونقد جوهرته: 113.

(4) وينفي د.(علي الوردي): أن تكون للأطراف المتنازعة أي دور في تحريض العشائر، معللا ذلك من وجهة نظره: ((أن القبائل تعتبر الحكومة رمزا للضريبة والسوط والسجن والقهر، لذا عندما أرادت القبائل أن تثور مثلما ثارت في (ثورة العشرين) واجههم (بكر صدقي) وقضى عليهم قضاء مرا، فأيقنوا قوة الحكومة. فبكر صدقي قائد مشهور سطع نجمه في سماء العراق، يوم أن عهدت إليه بعض الوزارات، بقمع حركات التمرد التي قامت بها بعض العشائر العراقية، كما قضى على تلك الحركة التي قام بها (الآشوريين) في شهر آب من عام (1933) وكان موضع إعجاب وتقدير الجميع))
ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 4 : 192.وينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 176.

(5) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: عبد الرزاق الحسني: 4 : 192. مطابع العرفان: صيدا: 1974.

(6) ينظر: الرسالة العراقية: 165. وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 250، وينظر: الجواهري ونقد جوهرته: 133. وينظر: الجواهري صحفيا: 201.

الساسة الانكليز الذين حرضوا العشائر العراقية، لإسقاط حكومة (الهاشمي)، وهكذا حدثت في بعض مناطق العراق الجنوبية والشمالية حركات عصيان قامت بها القبائل، قدر عددها بـ(ست) حركات[1]، ((حتى صار في تاريخ العراق السياسي شيء اسمه ثورات العشائر))[2]، وقد استنكر الجواهري ما قامت به العشائر في قصيدة (حالنا اليوم)[3]، عندما رأى العشائر تذبح بعضها بعضا كالأغنام[4].

وحينما كثرت حركات العصيان ضد هذه الوزارة، اغتنم خصومها هذه الفرصة، وقرروا الإطاحة بها والإجهاز عليها، بإيعاز من الانكليز. وكان على رأس هؤلاء (حكمت سليمان) الذي أراد أن يثأر لذاته، بسبب إبعاده عن منصب (وزير الداخلية) في حكومة (الهاشمي)، وذلك بعد أن عزز مكانته في جماعة الأهالي، وأخذ يتصل بضباط الجيش[5]، لاسيما بالفريق (بكر صدقي) - قائد الفرقة الثانية - فدفعه إلى القيام بثورة عسكرية، يقودها بنفسه، لإسقاط وزارة (الهاشمي). وقام(بكر صدقي) بدوره بمفاتحة زميله (عبد اللطيف نوري) - قائد الفرقة الأولى- بالموضوع، ونجح الانقلاب بعد أن شاركت فيه المخابرات البريطانية، وعملاء الانكليز، والنازيون والشيوعيون[6]

فقد دخلت القطعات العسكرية التي يتزعمها (صدقي) مدينة بغداد، وألقت بعض الطائرات قنابلها على مقر رئيس الحكومة، فأجبر (الهاشمي) وزملاؤه على تقديم الاستقالة، فقبلها الملك (غازي)، وكان ذلك في (29) تشرين الثاني (1936)[7]. وفرّ الهاشمي إلى دمشق، ومات فيها، أمّا (نوري السعيد) ففرّ إلى مصر، وكما فرّ (رشيد علي الكيلاني)، وأما (جعفر العسكري)، فقد تم اغتياله بأمر من(بكر صدقي) لرفضه الانقلاب[8]. وبعد ساعات من الانقلاب، كلّف الملك (حكمت سليمان) بتأليف الوزارة الجديدة، وفرض إرادته فرضا على كل شيء، لا في تأليف الوزارة فقط والدور الذي جاء به ليس له علاقة بالوصي[9]، كما أشيع في وقته من أن (حكمت سليمان) قام بانقلاب بدافع بدافع وطني، هدفه إزاحة الأسرة المالكة عن الحكم، بحجة أن (العراق للعراقيين) شعار

---

(1) وهي: ثورة الرميثة الأولى والثانية، وثورة سوق الشيوخ، وثورة الأكرع، التي حدثت في جنوبي العراق، وثورة الشيخ (أحمد بارزان)، وثورة اليزيدية.

(2) الجواهري دراسة ووثائق: 137.

ويذكر د.(الأعرجي) بأنّ (الهاشمي) هو الذي تحالف مع العشائر لإسقاط حكومة (المدفعي) ليتسلم الوزارة. ينظر: العراق: عبد الواحد الحاج سكر: 1 : 145.

(3) الأعمال الكاملة: 2 : 340 وفيها يقول :

**وكانتْ طبـــــــاعٌ للعشائـــرِ تُرتجـى فقـد لُوِّثـتْ حتـــى طبـاعُ العشائـــــر**

(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 310.

(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 274،284.

(6) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 4 : 192.

(7) ينظر: نظام الحكم في العراق: 123. مجيد خدوري: ترجمة فيصل نجم الدين الاطرقجي: بغداد: 1946.

(8) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 302.

(9) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 49.

كان يؤمن به منذ (العشرينات)، يوم أن عارض تولية (فيصل) عرش العراق، لميوله العثمانية، كما كان يذكر الرصافي ذلك[1] والحقيقة أن (حكمت سليمان) وصاحبه لم يكونا ليؤمنا بشيء من هذا القبيل، وإنما كان ذلك للوصول إلى غايات معينة، الدليل أنهما كانا عضوين في جماعة (الأهالي) وبعد نجاح الانقلاب قضيا على تلك الجماعة، لأن استمرار تعاونهما مع جماعة الأهالي، يحدّ من دكتاتوريتهما، ويقف حائلا دون رغبتهما في السيطرة على كل شؤون الدولة، وكانت علاقتهما بجماعة الأهالي منذ البداية علاقة مصلحيه، لاستغلال ما لهذه الجماعة من شعبية[2]. لذا نجد أن طموح (بكر صدقي) لم يقف يقف عند حد، فهو يريد أن يهيمن على العراق كلّه، ولعلّ هذا يفسر عدم قبوله منصب (وزير الدفاع) في هذه الوزارة، بعد أن تركها (حكمت سليمان) شاغرة، لتكون تحت تصرف (بكر صدقي) نفسه، إلّا أنّ هذا الأخير قد آثر أن يتولى هذه الوزارة زميله في هذه الحركة الانقلابية الفريق (عبد اللطيف نوري)، ورغب في أن يكون رئيسا لأركان الجيش العراقي .

ولقد أشير في حينه إلى أنّه كان ينوي الإطاحة بالملك (غازي)؛ ليكون هو سيد البلاد المطلق، أو على الأقل كان شديد الرغبة في أن يجمع شتات الأكراد في شرقي (الأناضول) وغربي (إيران) وشمالي (العراق)، وتوحيد كلمتهم تحت لواء زعامته، وتأليف حكومة مستقلة منهم، على طريقة الغازي (كمال أتاتورك) [3].

ولقد صاحب هذا الدور السياسي الجديد، كثير من الأحداث السلبية التي عجّلت في زواله، منها تصفية القادة الوطنيين من العسكر، أو إجبارهم على مغادرة العراق، نتيجة التهديد، كما أنهم رفعوا شعارات معادية للقومية، فضلا عن شيوع الفوضى، وضياع المقاييس، مما دفع ببعض الضباط - وبالاتفاق مع (نوري السعيد)- إلى التخلص من (بكر صدقي) نهائيا، فتم اغتياله في حديقة مطار (الموصل) بتاريخ (11) آب (1937)[4]، وكذلك أعلن الجيش تمرده على حكومة (حكمة سليمان) في كركوك والسليمانية، وجزء من القوات في بغداد لا سيما تلك المتواجدة في معسكر (الوشاش) حتى وجدت وزارة (حكمت سليمان) نفسها مرغمة على تقديم استقالتها إلى الملك بتاريخ (17) آب (1937)، بعد أن ظلت تترنح بمنة ويسرة، إثر مقتل (بكر صدقي)، ومما ينبغي ذكره أنّه في مثل تلك الأجواء الغائمة، برز نجم الشاعر (محمد مهدي الجواهري) بالظهور في سماء السياسة العراقية[5].

## رحلة الجواهري مع قادة الانقلاب

---

(1) ينظر: مقالة الرصافي (حول عرش العراق) جريدة العراق بتاريخ 5 أيار 1921. وللاستزادة حول هذه هذه الظروف، ينظر: حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث: خيري العمري : 70، 71.

(2) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 248.

(3) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 273.

(4) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 273. وينظر : تاريخ العنف الدموي في العراق: العراق: 302. وينظ الرسالة العراقية: 165.

(5) ينظر: الجواهري صحفيا: 201.

بعد استقالة الجواهري من البلاط، انضم إلى حزب الإخاء الوطني، وهو الحزب الذي يترأسه رئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) إغاظة لرجالات البلاط، وطمعا في منصب يناله، وقد سبق فيما مضى أن الهاشمي قد تعهده بعد قصيدة: (حالنا اليوم) بمقعد في المجلس النيابي، وبين أخذ ورَدّ، تبين للشاعر أنّ الهاشمي لم يكن أفضل حالا ممن سبقوه في وعودهم، فقصد البلاط ليعلم (رستم حيدر) بعدم قبول صك النيابة، وأنّ الهاشمي قد نكث بوعده، وبينما هو في ساحة البلاط، إذ انهمرت قنابل الانقلابين، لتختلط أصواتها مع صوت الجواهري، المرحّب بالانقلابيين، والمهلل بهم، فهو كعادته مع كل تغيير، الذي ينسجم بالتمام مع وضعه النفسي، الذي يعشق حب التمرد والعصيان[1]. فضلا عن طيب سريرته التي تدفعه إلى تصديق كل ما يقال عن الثورات والانتفاضات والوثبات، وفي ذلك يقول الجواهري:((إنني أنساق ببراءة وراء كل ظاهرة، أو ثورة، أو انقلاب أو حركة أو انتفاضة تحمل في ظاهرها شعارات الولاء والانتماء إلى الشعب... كنت أنساق بعفوية وبراءة مع كل من يملك نفسا ثائرة مندفعة، وفي كل وثبة أو انتفاضة كنت أتخيل نفسي في مقدمة الجموع الزاحفة إلى مجد الجماهير، ليدفعني هذا التخيل إلى تجسيده موقفا متسرعا عمليا وشعريا وسياسيا وهذا ما حدث مع حركة (رشيد عالي الكيلاني) وانقلاب بكر صدقي))[2] .وما يذكره الجواهري في هذا الشأن، لا يمكن التسليم به، وإنما ومن خلال بحثي تكشف لي أن الجواهري قد أيد الانقلاب لأسباب ثلاثة :-

1- الظلم السياسي الذي تعرض له أيام الحكم الملكي، حيث لم يحقق أيا من طموحاته السياسية، فظن بأن الانقلابيين سيعوضونه عن حرمانه.
2- الظلم الاجتماعي الذي أوصل الجواهري إلى أن يكون حبيس البيت مدة(ثلاث سنوات)، بدون عمل أو مورد يذكر، فضلا عن الشتائم التي كانت تنهال عليه صباح مساء من الصحف التي يصفها الجواهري بالمدفوعة.
3- توافق الأفكار، ولعل هذا السبب كان هو العامل الرئيس، وراء اندفاع الجواهري الحاد وراء الانقلابيين، فانتصر لهم، وآزرهم مؤازرة قوية بكل ما يملك من سبل وإمكانات[3]؛ لأن الانقلابيين ينتمون إلى جماعة الأهالي ((التي اتخذت من الاشتراكية وسيلة لاستكمال توافر ممارسة الديمقراطية، وكانت متأثرة بالمبادئ الماركسية والانتقادات التي توجه للبرلمانية اللبرالية، وتأثير الطبقات المثرية فيها))[4] وأكدت الحريات الديمقراطية للشعب وإشراكه في إدارة شؤونه وتحسين أحواله المعاشية، بذلك أصبح للاستقلال معنى التحرر من الاستعمار[5] فكل تلك الأفكار كانت من تأثيرات البعثة التجارية (السوفياتية) في العراق عام (1934)[6] ولهذا ((أتاح الانقلابيون لعناصر اليسار، والمنادين

(1) ينظر: مذكراتي: 1: 323.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 169.
(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 253.
(4) التطورات السياسية في العراق: 242.
(5) تنظر: مجلة الثقافة، العدد العاشر، السنة الثانية تشرين الأول 1972
(6) ينظر: حديث حسين جميل12تشرين الثاني1972.وينظر: التطورات السياسية في العراق: 242.

بدعوة العدالة الاجتماعية، وإنصاف الطبقة الفقيرة، جوا واسعا من الحرية والحركة...وكان الجواهري يتعاطى معهم))[1]

بذلك وجد الحزب (الشيوعي) ظروفا مناسبة للعمل بعد الانقلاب، فاستطاع قيادة مظاهرة كبيرة في (3 تشرين الثاني 1936) كما ((سمحت حكومة الانقلاب لبعض الكتب الممنوعة التي تحمل الأفكار الشيوعية، من دخول العراق، وأطلقت بعض الحريات العامة لبضعة أشهر، وأجازت جمعية الإصلاح الشعبي.))[2]

ومما زاد في حماسة تأييد الجواهري للانقلابيين، هو طموحه السياسي بالفوز بنيابة البرلمان، ولا سيما بعد أن غدا مقررا حل المجلس النيابي القائم آنذاك، وإجراء انتخابات جديدة في ظل حكومة الانقلاب التي رأسها (حكمت سليمان) ...خلافا للدكتور:(سحاب الأسدي) الذي يرى بأنّ تأييد الجواهري للانقلابيين إنّما جاء لدواعي المصلحة العامة التي تهم الشعب والوطن ((وليس لمصلحة شخصية أو رغبة في نيل منصب ما، أو مكسب معين، بل كان همّه المجاهرة برأي واضح، وموقف جريء، هدفه الأسمى الإسهام الفاعل في بناء وطن قوي كريم ينعم فيه المواطن بحريته وكرامته))[3]، ومهما يكن من قول فإنّ الجواهري قد أيقن أنّ الشعر وحده لن يوصله إلى أهدافه، ((وأنّ الصحافة هي أيسر طريق. وعلى هذا الأساس أصدر صحيفة (الانقلاب) سنة 1936))[4]، بعد موافقة (وزارة الداخلية) على منحه هذا الامتياز[5]، وصدور العدد الأول منها في (25) تشرين الثاني (نوفمبر) عام (1936)، لتكون ناطقة باسم الانقلابيين الذين وصلوا إلى السلطة بطريقة ديمقراطية مرجوة - كما يرى - فقضوا بها على الفساد الذي كان مستشريا في البلاد حيث يقول: ((أيدنا الوزارة لأننا رأينا المصلحة العامة تقضي بتأييدها، ولاعتقادنا بحسن مقاصد رجالها، ولأنها تسلمت مقاليد الحكم بالكيفية التي كنا نتمناها، فقضت على ادوار ضجت منها البلاد كثيرا.))[6] كما أن الجواهري نظم قصيدة: (تحرك اللحد) التي تمجد

---

(1) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 383.

(2) التطورات السياسية في العراق: 345. وتنظر: مجلة الثقافة الجديدة: 24 العدد (42) تشرين الثاني 1972. وينظر: الجواهري شاعر قرن العشرين: 64. وينظر: محمد مهدي الجواهري والعنف الشعري: 338. في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).

(3) الجواهري موقف وقصيدة: د.سحاب الأسدي: 2. (بحث غير منشور).

(4) الجواهري صحفيا: 201، محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية: 60، الجواهري دراسات ووثائق : 138، 138، والإعمال الكاملة: 1 : 7. مذكراتي: 1 : 323 ،324.
=يقول الجواهري: ((أصدرت جريدتي الثانية مستعيرة اسم - الانقلاب-نفسه، متطوعا غير ذي انتماء لأحد، ولا ذي علاقة بأحد)) مذكراتي: 324.

(5) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 255.

(6) جريدة الانقلاب: العدد(16) 7كانون الثاني (يناير)1936.

الانقلابيين، ولربما كانت من أشهر وأقوى شعره في الثلاثينات[1]، وقد وجهها إلى (حكمت سليمان) الذي كان رئيس وزراء حكومة الانقلاب، منددا فيها برجالات العهد الغابر، الذين أمسوا في خبر كان، مبديا فرحه وسروره، ثم يأمر الناس بمؤازرة الانقلابيين الذين سيصنعون مستقبلا مشرقا لهم، بعد أن يئس الناس من تحقيقه في عهود سابقة، فنراه يقول :

كِلُوا إلى الغيبِ ما يأتي به القدرُ ... واستقبلوا يومَكُم بالعزم وابتدِروا
وصَدِّقُوا مُخبراً عن حُسُن مُنقلبٍ ... وآزروه عسى أنْ يَصدُق الخبر
لا تتركوا اليأسَ يلقى في نفوسكمُ ... له مَدَبَّاً ولا يأخُذكُمُ الخَور
إنَّ الوساوسَ إنْ رامتْ مَساربها ... سدَّ الطريقَ عليها الحازمُ الحَذِر
تذكَّروا أمسِ واستَوحُوا مساوئهُ ... فقد تكونُ لكم في طيِّهِ عِبر
مُدُّوا جماجِمكُم جسراً إلى أملٍ ... تُحاولون وشُقُّوا الدَّربَ واختصروا
وأجمِعُوا أمركُم يَنهضْ بسعيكُمُ ... شعبٌ إلى هِمَمِ الساعين مُفتقِر
إنَّ الشبابَ سنادُ المُلكِ يَعضُدهُ ... أيامُ توحِدهُ الأرزاءُ والغِير
أتتكُمُ زمرةٌ تَحدُوا عزائِمها ... ما خلَّفتْ قبلها من سيّئٍ زُمر [2]

إنّ الجواهري في أبياته تلك، ليذكرنا مرة أخرى بالشاعر (لقيط بن يعمر الأيادي)؛ ليجعل من نفسه، وصّيا على شعبه وناصحا وحكيما، ولكن بأساليب طلبية، تنمّ في مدلولاتها على الجبر والإكراه، وكأنّ الحق الذي غاب أحقابا قد ظهر على أيدي هؤلاء الانقلابيين، لذا لا صواب إلا ما يراه سبيلا للرشاد، ونلاحظ ذلك من خلال ألفاظ قصيدته: (كلوا إلى الغيب) و(استقبلوا يومكم وابتدروا) و(صدقوا مخبرا) و(آزروه عسى) و(لا تتركوا) و(لا يأخذكم الخور) و(تذكروا أمس) و(استوحوا مساوئه) و(ومدّوا جماجمكم جسرا) و(شقوا الدرب واختصروا) و(أجمعوا أمركم). داعيا إياهم - في الوقت نفسه - إلى إمهال الانقلابيين الوقت الكافي؛ ليفصحوا عن برامجهم وخططهم ليتجاوزوا أدران الماضي[3] وبعد أن فرغ الجواهري من إسداء النصائح إلى شعبه، يتوجه إلى (حكمت سليمان) مدبر الانقلاب، بجملة من النصائح والإرشادات، مطالبا إيّاه الفتك بخصومه، ومحاسبة كل الذين اجترحوا السيئات، حفاظا على المكتسبات؛ لأنه في موضع يتطلب ذلك إذ. لا رحمة مع من لا يعرف الرحمة، لذا نراه يقول في إحدى مقالاته: ((يا رجال الحكم

(1) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 338.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 361.
(3) الجواهري موقف وقصيدة: 3.

إنّ سياسة الهدوء واللين سياسة غير ناجحة... فلا عذر لكم في التزام الصمت والهدوء... ليس للرحمة ولا للشفقة ولا للعطف ذكر في معجم الساسة... وأنّ إعادة الأمور إلى نصابها ورد الحقوق إلى أصحابها تتطلب أن تضربوا الضربة القوية الحازمة فالحق المغتصب لا يعود إلا بالقوة، والحق السليب لا يسترد من صاحبه إلا بالعنف))[1]، ويبدو أن الجواهري الجواهري لم يكن يؤمن بمبدأ (عفا الله عما سلف) نتيجة ما لقيه من ظلم واضطهاد في بداية (الثلاثينات)، وما توعدهم به في قصائده: (سبيل الجماهير)[2] و(الشاعر ابن الطبيعة الشاذ)[3] و(سلمى على المسرح)[4] و(المحرقة)[5] و(عبادة الشر)[6] و(عقابيل داء)[7] و(لعبة داء)[7] و(لعبة التجارب)[8]و(الدم يتكلم بعد عشر)[9] و(حالنا اليوم)[10] أراد تحقيقه في يوم في يوم الملحمة تلك، فينتقم من أعدائه كما انتقموا منه، لذا نجد أنّ صدره قد شفي لما حاق بالقوم من ألوان المذلة والهوان جراء ما اقترفوه من أعمال منكرة بحق من ساسوا الرعية[11]. فهو يوم - على ما يرى- ينتصف فيه المظلوم من الظالم، لذا نجده يقول:

أقدمْ فأنتَ على الإقدامِ منطبعُ ... وابطشْ فأنتَ على التَّنكيلِ مُقتَدِر
لا تُبقِ دابرَ أقوامٍ وتَرتَهُمُ ... فهُمْ إذا وجدوها فرصةً ثأروا
هناكَ تنتظرُ الأحرارَ مجزرةٌ ... شنعاءُ سوداءُ لا تبقي ولا تَذر
وثَمَّ شِرذمةٌ ألفتْ لها حُججاً ... من طولِ صفحٍ وعفوٍ فهي تستتر
إنّي أصارحكَ التعبيرَ مُجتزئاً ... وما الصريحُ بذي ذنبٍ فيعتذر
فحاسبْ القومَ عن كلِّ الذي اجترَحُوا ... عمَّا أراقوا وما اغتلوا وما احتكروا
للآن لم يُلغَ شبرٌ من مزارعِهم ... ولا تزحزحَ مما شيَّدوا حجر
فضيّقْ الحبلَ واشددْ من خناقِهِمُ ... فربَّما كان في إرخائه ضرر
تصوَّر الأمرَ معكوساً وخذْ مثلاً ... ممَّا يجرُّونَه لو أنَّهم نُصِروا
أكانَ للرّفقِ ذكرٌ في معاجِمهم ... أمْ كان عن(حكمةٍ) أو صحبهِ خبر
تحرَّك اللّحدُ وانشقتْ مجددّةً ... أكفانُ قومٍ ظننَّا أنّهم قبروا[12]

(1) جريدة الانقلاب العدد(20) (16)كانون الثاني (يناير)1937.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 239.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 247.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 240.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 268.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 312.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 321.
(8) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(9) الأعمال الكاملة: 2 : 361.
(10) الأعمال الكاملة: 2 : 340.
(11) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 257.
(12) الأعمال الكاملة: 2 : 363.

ولم يفت الجواهري بعدما مدح (حكمت سليمان) أن يمدح قائد الانقلاب (بكر صدقي)[1]، كما قال بذلك (أحمد الصافي النجفي)، حيث شبّهه في قوته بـ (موسوليني) قائلا:

كيفما صوَّرتها فلتكُنْ أنا عن تصويرةِ الناس غني
فيك لولا أمَّة جاهلةٌ شَبهٌ يُدنيك من " موسولني "[2]

(1) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 299.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 264.

وقد حكم (النجفي) من خلال أبياته تلك، على الجواهري بأنه كان مؤيدا للفاشية قبل أن يتحول إلى اليسار[1]. وهو رأي بعيد عن الصواب، ومجانب للحقيقة، فالأبيات إنّما قيلت في زعيم المعارضة (الباججي)؛ لأنها جاءت في ضمن قصيدة: (الباججي في نظر الخصوم)، ويبدو أن (النجفي) قد أورد ذلك بقصد التشويه والحطّ من قدره، لجفوة بينهما. والحق أنّ الجواهري لم ينظم في الانقلابيين إلا قصيدة واحدة وقد بين الدكتور:(سحاب الاسدي) بأن مرد ذلك هو نتيجة خيبة أمله بالانقلابيين[2] وليس بسبب انشغاله بالصحافة كما يذكر الدكتور:(رؤوف الواعظ)[3] وأن ما ذهب إليه د.(الاسدي) هو الأرجح ذلك لأن الانقلابيين لم يكونوا عند كلمتهم، فقد نكثوا عهودهم، وخانوا ضمائرهم، حيث لم يحققوا شيئا يذكر من الذي وعدوا به، فأحس الجواهري بانحراف الانقلاب عن أهدافه التي أعلن عنها، وهو ما يفسر تغيير موقفه، وبدأ يعارض سياسة الحكم فيما ينشر في هذه الجريدة[4]. ويذكر الجواهري: ((أن الجريدة انقلبت على الانقلابيين لتكون إلى جانب الجماهير، فالانقلاب لم يطل كثيرا ريثما أعلن عن فشله أولا، أما أنا فبقيت بمثل ظللت عليه حتى يومي هذا نائبا عن الناس، وامتحنت، وما أزال أيضا بما امتحن به الناس طوال (مائة) مرة ومرة من أمثال هذه المرحلة البائسة، وبخاصة بعد مقالي (ماذا بعد ستة شهور))[5] وقد ضاقت الحكومة ذرعا بما ينشره الجواهري من أخبار في جريدته، لا سيما تلك التي تمسهم في الصميم. منها اتهامه لـ (أمين الريحاني) الذي كان وكيلا صحفيا عن الانقلابيين، كما كان يعد من أخطر الجواسيس الموجودين في العراق، وبسبب تهجم جريدته على (صالح جبر) من قبل مراسله (صالح شمسه)، والأخطر من ذلك كله أنّه نشر خبر وجود جواسيس (بريطانيين) في العراق ، وقد استدعاه رئيس الوزراء في حينه للوقوف على حقيقة ما يقوله الجواهري[6] .

وبعد ذلك أخذت الحكومة تتحيّن الفرصة للإيقاع به، وتم لها ذلك باتهامه في قضية (الكاشير)، التي طوحت ليس بصحيفته حسب، بل وبآماله التي عقدها على حكومة الانقلاب التي منحها المناصرة الصريحة، والتأييد الكامل. وقصة (الكاشير) هي أن فقراء الطائفة اليهودية، قد احتجت على ارتفاع أسعار اللحوم التي يشترونها من جزارين يهود ينحرون المواشي على الطريقة اليهودية، وطالبوا بخفض الأسعار وساند الجواهري في صحيفته (الانقلاب) تلك الاحتجاجات التي أدت إلى إضراب أكثرية اليهود عن تناول لحم (الكاشير) الأمر الذي أدى إلى تدخل الحكومة، فأصدرت أمرها بتعطيل الانقلاب[7] مدة

---

(1) حوار الأستاذ (باقر ياسين) مع المرحوم الشاعر(احمد الصافي النجفي). ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 229.
(2) ينظر: الجواهري موقف وقصيدة: 7.
(3) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 256.
(4) ينظر: مقدمة الأعمال الكاملة : 7.
(5) مذكراتي: 1 : 324.
(6) ينظر: المصدر نفسه: من 329 إلى 338.
(7) غير أن الجواهري ذكر في مذكراته بأن صحيفته استمرت بالصدور رغم سجن صاحبها، وهي تصف الانقلابيين المتصافحين مع الفاشية بأعداء الوطن: مذكراتي: 1 : 326.

(شهر) والحكم عليه بالحبس عشرة أيام ..، ثم اعترض الجواهري على القاضي في أثناء قراءته الحكم، فأعيد توقيفه وعقدت جلسة مستعجلة للمحكمة نفسها، وأصدر القاضي حكما يقضي بحبس الجواهري مدة(6) أشهر. وأمضى الجواهري منه زهاء (شهرين) ثم أعفي[1]. أعفي[1]. بذلك انقلب (بكر صدقي) على الجواهري وعلى الانكليز في آن واحد فمال نحو الألمان، لذلك قرر الانكليز التخلص منه بأية وسيلة، ويذكر الجواهري بأنه قد علم بذلك من خلال (رزوق غنّام)، الذي زاره في سجنه؛ ليقول له سترى مصرع (بكر صدقي) على يد (نوري السعيد)[2] ولم يكن الجواهري أول من اقتص منه، حيث اقتص من آخرين بسبب بسبب تغير الظروف في أواخر الانقلاب، فاضطُهِد اليساريون، وعطّلت (جمعية الإصلاح الشعبي)، وجرت اعتقالات متتالية بين الشيوعيين في بغداد[3]....وقد أصدرت الحكومة آنذاك ذيل قانون العقوبات البغدادي الرقم (51) لسنة (1938) الذي نص في مادته الأولى ((يعاقب بالأشغال الشاقة أو الحبس مدة لا تزيد على (سبع) سنين أو بالغرامة أو بهما كل من حبذ أو روج بإحدى وسائل النشر المنصوص عليها في المادة (78) أيّا من المذاهب الاشتراكية البلشفية (الشيوعية) والفوضوية والإباحية وما يماثلها))[4]، ولعلّ اعتقال اعتقال الجواهري قد جاء في ضمن تلك الحملة لكسر شوكته، والحد من نشاطه اليساري، وما وجه إليه من تهم لا تعدو كونها ذرائع لا علاقة لها بجوهر القضية، لذا نجد أن الجواهري قد تضاربت أقواله في سبب دخوله السجن[5]، وهذا يعني أنّ هناك حلقة لم يرد يرد الجواهري الإفصاح عنها، وقد أشار الجواهري إليها بشكل ساخر في قصيدته التي نظمها في سجنه، إذ رأى فيها((أن منصبه الجديد أن يكون سجينا في سجون الانقلابيين، يتولى أمره حشد من الحراس))[6]وفيها يقول:

إنْ كنـــتَ تحسُـــدُ مـــن يحـــ ـــــوطُ البـــابَ منـــهُ حارســـان
فلديـــك حـــراسٌ كأنَّـــك منهـــمُ فـــي مَعْمَعـــان

(1) ينظر: الجواهري صحفيا: 201. والأعمال الكاملة: 2 : 365.(الهامش ).
ويذكر الجواهري: انه أوقف بسبب مقال عن (كربلاء) وقد تضارب أعضاء (البرلمان) بالكراسي بسبب توقيفه، مما اضطر (حكمت سليمان) أن يصدر بيانا، يبرر فيه ما جرى، وبعد التحقيق حكم عليه بـ(29) يوما، ولكن نتيجة شتمه القاضي، أعيد محاكمته وحكم عليه (ثلاثة) شهور. ينظر: الجواهري ذكريات أيامي: 72.
(2) ينظر: مذكراتي: 1 : 338.
وفي فترة سجنه أتهم الجواهري السفارة (الألمانية) باغتيال ابنتيه (رامونة) و(لطيفة) انتقاما منه. مذكراتي: 1 : 340 ،345. والجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.
(3) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 345.
(4) جريدة الوقائع العراقية العد(1633)، (9) مايس(1938).
يلاحظ أن الجواهري قد خالف كثيرا في مذكراته ما اورده في ديوانه: 2 : 325 ، عن التهمة التي وجهت إليه في المحاكمة الأولى، يقول في الديوان انه حوكم في قضية الذبح اليهودي. وفي ذكرياته يقول أنّه حوكم بتهمة نداء باعة الصحف على جريدته بأهم عناوينها. وفي لقائه مع البقيلي: يدعي أنّه حوكم بسبب مقال عن كربلاء.
(5) الجواهري دراسة ووثائق: 141.
(6) المصدر نفسه والصفحة.

ومُوكَّلـــــون بمـــــا تصـــــرّفُ فـــــي الدَّقائـــــقِ والثّوانـــــي
أُســـــكنتَ داراً مالهـــــا فـــــي الصِّـــــيتِ والعظمـــــوتِ ثانـــــي
مـــــا إنْ يُبـــــاحُ دخولهـــــا إلّا لـــــذي خطـــــرٍ وشـــــان[1]

وخرج الجواهري من السجن ليعود إلى صحيفته[2]، محاولا التنصل عن كل ما قاله أو كتبه لا سيما بعد سقوط حكومة (حكمت سليمان). فأول عمل قام به هو تغيير اسم جريدته من (الانقلاب) إلى (الرأي العام)، وقد افتتح أعدادها بالتنكر للانقلاب، كما لا تخلو مقالاته الافتتاحية من الغمز واللمز به، بل الطعن كذلك في القائمين به، ومما قاله الجواهري ((لم نكن يوم أصدرنا جريد الانقلاب أكثر منا- ونحن نكتب هذه السطور- حماسة وتقديرا لكل حركة يرجى من ورائها تقدم هذه البلاد في كل مرافقها الحيوية وتحررها من أوضاع غير صالحة ضربت بينها وبين اللحوق بسائر الأمم الناهضة سدّا منيعا. ولم نكن يوم (25) تشرين الثاني (1936) أكثر منا في يوم (6) أيلول (1937) شعورا بأنّ تأخر البلاد ورضوخها للأوضاع الشاذة والتصرفات الكيفية واصطلائها بنيران القوانين والأنظمة الجائرة... التي كلها جور واضطهاد وهو نتيجة تقصير المسؤولين من رجال السياسة في البلد))[3]، ثم يمضي الجواهري في مقاله على الرغم من حدوث الانقلاب، فإنّ الأوضاع كما هي إذ لا تتغير، ((ولكن سرعان ما خابت الظنون وتبددت الأحلام، وسرعان ما انكشفت الصدور، وانجلت الضمائر، إذا بها سوداء ملطخة، وإذا بالشهوات والنزعات تعصف بها عصفا شديدا، وإذا بالحديث يبتدئ همسا ويشتد فيصبح ضجيجا وعجيجا، وإذا القوم يخدمون من قبلهم من حيث لا يقصدون..والآن فلئن مات الانقلاب فليعش الرأي العام والسلام.))[4]، ورجع الجواهري بخفي حنين، وأدرك أن ما فات من أمره أفضل كثيرا مما مما هو فيه، فرجع به الحنين إلى الماضي[5]((وراح ينشر من جديد كثيرا من القصائد التي نظمت في مديح الملك (غازي)، وولي عهده (فيصل الثاني)، والأمير (عبد الإله) وغيرهم من رجال الحكم، سواء ما كان قد نظمه هو بنفسه، أم نظمه شعراء آخرون مثل (بدوي الجبل) و(إيليا أبو ماضي) و(الياس أبو شبكة) وغيرهم. كان يتابع في الوقت نفسه نشر صور الملك (غازي) وابن عمه (عبد الإله) في صدر صفحات جريدته تملقا ونفاقا))[6] كما وعاد إلى رثاء من أطاح به الانقلابيون ((وكأنْ لم يكن الشاعر نفسه قد رحب صائحا بسقوط قنبلة الانقلاب الأولى على ساحة البلاط لينطوي عهد (ياسين) إلى الأبد، حتى بلغ الغضب بصديقه (رستم حيدر) وقد نقلت إليه شماتته بمصير ياسين، وصيحته المدوية فرحا أن يقول:إنّه لم يكن يظن أن تسّف الأخلاق إلى هذا الحد))[7].

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 365.
(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.
(3) جريدة الرأي العام العدد (169) 7 أيلول (سبتمبر)1937.
(4) المصدر نفسه والصفحة
(5) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 141.
(6) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 259.
(7) مذكراتي: 1 : 323. وينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 141.

ويدافع الجواهري عن نفسه، بأنه كان خصما منصفا، فهو قد نعى (الهاشمي) بوفاته في صحيفته (الانقلاب) يوم أن اكتفت الصحف الأخرى بخبر عابر. ويورد الجواهري تصديقا لدعواه، ما نشره (الحسني) في كتابه (تاريخ الوزارات العراقية)، وهو يؤرخ وفاة الهاشمي[1] ببرقية وصلت إلى (بغداد) من (بيروت) صباح الخميس الموافق (21) كانون الثاني (1937)، ويستعرض بعدها مواقف الصحف العراقية، حيث يقول (الحسني): ((أما صحف بغداد فقد اكتفت بنشر خبر الوفاة كما تكتبه عن أصغر رجل، متناسية مقام الفقيد في السياسة والخدمات التي أسداها للعراق[2]، والى هذا تشير جريدة الانقلاب للأستاذ (محمد مهدي الجواهري) بالكلمة التالية الصادرة في جريدة الانقلاب: ((وإذا كانت هناك عبرة تفوق عبرة نهاية الهاشمي المحزنة فهي موقف زميلة من الزميلات- يريد جريدة البلاد- التي لم يجف بعد حبر كتابتها ولم يضمحل صدى تقديسها وعبادتها للهاشمي...فليس لمعنى موت الرجل أو تدهوره أن يذهب الوفاء))[3]. ويذكر الدكتور الاعرجي: ((أن رثاء الجواهري للهاشمي، لم يكن نابعا من وفائه له كما أرادنا الجواهري أن نظن، وإنما كان إيذاء للانقلاب، وإمعانا في الانتقام من رجاله، عما فعلوا به؛ سواء أكان ذلك في وعيه أم في لاوعيه))[4] ويتضح ذلك من خلال لفظة (العبرة) الواردة في كلمته، فهو لم يقصد الهاشمي نفسه بل يريد أن يفهم الآخرين بان يتعظوا من موته فلا يتمادوا في طغيانهم، ويذكر (الواعظ) أنه بعد مرور (عام) على وفاة (الهاشمي) اتصل الجواهري بأحد أصدقائه مبديا رغبته في إلقاء قصيدة يؤبّن بها المغفور له (ياسين الهاشمي) في الحفل الذي سيقام لتأبينه في بغداد بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته، فنصحه- وكان هو أحد أعضاء اللجنة - بعدم المشاركة في هذا الحفل خشية الاعتداء عليه وإهانته، بسبب موقفه المعروف من الانقلاب، كما أخبره بأنّ العراقيين ما زالوا يتذكرون بأنه كان في ضمن المتظاهرين الذين حاصروا دار الهاشمي بعدما توعدوه بالويل والبثور، ثم أعلمه الناصح بأنه إذا كان مصرا على ذلك فليذهب إلى الحفل التأبيني الذي سيقام في البصرة، وفعلا ذهب إلى هناك وألقى قصيدته[5]، وكانت بعنوان (ذكرى الهاشمي) وفيها يقول:

---

(1) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 3 : 240.
((بعد خمس سنوات على وفاة الملك فيصل فجع العراق بالهاشمي أحد القوميين، وأجري له حفل تأبين)) ينظر: سليمان فيضي ودوره الثقافي والاجتماعي والسياسي: 169، وجريدة الناس العدد (328) في27 كانون الثاني 1938،والاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 259،ومذكراتي: 1 : 321.
(2) ينظر: تاريخ الوزارات العراقية: 3 : 240.
(3) جريدة الانقلاب: العدد (21) كانون الثاني 1937، وينظر: مذكراتي: 1 : 322.
(4) الجواهري دراسة ووثائق: 141.
(5) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 260.

وفّــاكَ مــا يُقضــى مــن التكــريمِ بلــدٌ يُــوفِّي حــقَّ كــلَّ زعــيم
البصــرةُ الفيحــاءُ ضــاقَ خِناقُهــا ومَشــتْ بقلــبٍ مقــرِحٍ مكلــوم
عطفتْ علـى الـذِكرى الأليمـةِ عطفـةً نمّــتْ علــى شَجَــنٍ هنــأك ألــيم[1]

ويعطف هو على ذكر ياسين، ويشير إلى الانقلاب الذي أخذه على حين غرة فأذاقه الجور والهوان وكان هو العراف بأحوال البلاد، وكان هو السياسي القدير الذي اشتهر بالحكنة والدهاء، ولكن هذه الأمور المحتومة قد تغلب أحيانا كل مقدرة ودهاء وتخفى حتى على أصحاب التنجيم:

ياســينُ إنَّ هضــيمةَ مــا ذقتــَهُ غــدراً ولــم تــكُ قبــلُ بالمهضــوم
مــا كنــتَ بالرجـلِ الـذي يمشـي لــهُ ختــلاً كمشيــةِ قانــصٍ لظليــم
أســفاً فكــلُّ عظيمــةٍ غلّابــةٌ مغلوبــةٌ بمقــدَّرٍ محتــوم
يكفيــك فخــراً أن تُكــادَ بمثلهــا مســتورةً خَفيــتْ علــى التنجيــم[2]

وبعد ذلك يحاول الشاعر أن يبرر سلوكه بالنسبة إلى موقفه الذي ناصر فيه هذه الحركة الانقلابية - وهو في هذا كمن يريد أن يقدم اعتذاره عن هذا الموقف- فيشير إلى الفوضى السياسية التي كانت طابع الحكم في البلاد ويؤكد أن المستعمرين هم الذين كانوا يتحكمون في مصيره:

ســايرتُ حكمــكَ ناقمــاً لــم اعتنــقْ حزبــاً ولــم أدخــلْ بظــلِّ زعــيم
حاشــا ولــم أهتــفْ لغيــركَ داعيــاً أو أنْ أخُــصَّ سِــواكَ بالتَّقــديم
ونــراكَ جبَّــاراً يكــون لِفكــره فــي المُعضــلاتِ مــردُّ كــلّ جســيم
ولقــد يكــونُ العــذرُ أنّــا طُمَّحٌــو ولقــد تكــون وأنــتَ غيــرُ ملــوم
إذا الــبلادُ تفرَّقــتْ آراؤهــا شــيعاً بــلا نهــجٍ لهــا مرســوم [3]

ويذكر د.(الاعرجي) بأن الجواهري كان صادقا بوفائه هذه المرة؛ لأن القصيدة قيلت بعد سقوط الانقلاب وان لم يفرغ نفسيا من عقابيله[4]بذلك يكون الجواهري قد طوى صفحة من صفحات تأريخ العراق الحديث، وكان نصيبه منها حصادا مرّا كما في كل مرة، وما أصدقه حين يقول: ((لم استفد من تجاربي وخيبات أملي، ولم اتعظ من ذاتي،

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 367.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 367.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 367.
(4) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 142.

وقد حاسبتها على سقطاتها وتدافعاتها وتهورها وسرعة اتخاذ قراراتها والى ذلك فلم استفد حتى من الندم الذي عانيت منه الكثير))[1].

## حركة رشيد عالي الكيلاني ( 1941 )

لا شك في أنّ كل الشعوب في الأرض تبحث عن حريتها واستقلالها، والشعب العراقي واحد من هذه الشعوب التي صارعت كثيرا من أجل الاستقلال الوطني، فعلى الرغم من وجود حكومة وطنية في العراق.إلاّ ان البريطانيين كانوا هم الذين يسيرون دفّة الحكم في العراق حتى نهاية (الأربعينات)، وذلك لأهمية العراق الإستراتيجية في المخططات البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها، لذا ضاعف البريطانيون من تدخلهم في شؤونه السياسية، وتوجيهها وجهة يرتضونها في الحرب ضد دول المحور[2] فضلا عن عامل التدخل فقد اتهم الرأي العام الانكليز باغتيال الملك (غازي)[3]، كما أن فشل الجهود التي بذلت للحصول على تعهد من بريطانيا حول القضية الفلسطينية، والآمال في تحرير سوريا. إن هذا الفشل شجع المفتي (الحسيني) وجماعته على إثارة المشاعر القومية ضد بريطانيا، كما تغيرت لهجة الصحف العراقية تجاه بريطانيا، فبدأت جريدة (الاستقلال) تندفع نحو (الألمان) بعد أن ترأس تحريرها الكاتب السوري (عثمان قاسم)، وتبعه في ذلك صاحب جريدة (البلاد) و(الزمان) فأصبحت لهجة الصحف مؤيدة للألمان كرها لبريطانيا[4] ورأت حكومة (رشيد عالي الكيلاني) نتيجة تلك الأسباب أن الفرصة مؤاتية للتخلص من مخالب الاستعمار، لذا رفضت الحكومة طلب بريطانيا بقطع علاقاتها مع إيطاليا التي كانت تقف إلى جانب الألمان، مما أثار استياء البريطانيين الذين قرروا- وكرد فعل سريع -عدم تزويد الجيش العراقي بالسلاح. وأرسل العراق ممثله(ناجي شوكت)إلى تركيا للتفاوض مع السفير (الألماني) للوقوف إلى جانب العراق، ونيل استقلاله بعد الانتصار[5].وبعثت الحكومة الأمريكية بمذكرة إلى العراق ، وفيها تنصح العراق بالتعاون مع بريطانيا، لاعتقادها أنّ (بريطانيا) إن خسرت الحرب فسيخسر العراق استقلاله[6]، كما استنكرت الحكومة المصرية تصرفات (رشيد عالي الكيلاني) تجاه بريطانيا[7]، ونتيجة لذلك – وبإيعاز من بريطانيا – طلب الوصي من الحكومة الاستقالة[8]،

---

(1) مذكراتي: 2 : 169.
(2) ينظر: الأسرار الخفية في حركة مايس : عبد الرزاق الحسني : 1 : 89.مطبعة العرفان: صيدا: 1971. وينظر البصرة خلال ثورة مايس (1941): زينب كاظم العلي : 26 ،29. رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة البصرة: 1981.
(3) ينظر: الحرب العراقية البريطانية (1941): 101.
(4) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 21.
(5) حديث مع ناجي شوكت في (25)، حزيران (1973).
(6) ينظر: الأسرار الخفية: 79، وتطور الحركة الوطنية في العراق: 21.
(7) ينظر: نفسه: 70، 71. وينظر: التطورات السياسية في العراق: 28.

الاستقالة[1]، إلّا أن (الكيلاني) رفض طلبه فعد الوصي الحكومة غير قانونية. ووقف الجيش والشعب إلى جانب الكيلاني[2]، ووزعت منشورات تدعو إلى التظاهر، وهرب الوصي إلى الديوانية، ودرءا للفتن قدم (الكيلاني) استقالته إلى الوصي، وقوبلت بمعارضة شعبية واسعة، وتشكلت حكومة (طه الهاشمي)[3]، ولما رأى (الكيلاني) أن الشعب يؤازره، وأن البلاد تؤيده من جنوبها إلى شمالها[4]، شكل بعد استقالته مع بعض أنصاره جمعية سرية باسم (اللجنة السرية العربية) [5]، وحينما شعر الضباط الأحرار بأن الحكومة ستقطع علاقتها مع الايطاليين، وأنها عازمة على تصفيتهم، بأمر من الانكليز[6]. اجتمع العقداء على إثر ذلك، وأعلنوا حالة الطوارئ في معسكر (الرشيد) ووزعوا الجنود في نقاط مهمة في بغداد، مما أدى إلى هروب الوصي إلى الحبانية، ومنها إلى البصرة[7]، وعدّ ذلك انقلابا على حكومة الهاشمي، وتم تشكيل حكومة الدفاع الوطني برئاسة (رشيد عالي الكيلاني)، وأعلن غزله لألمانيا[8] وبعد أن فشل البريطانيون في إعادة الوصي (عبدالاله) إلى الحكم ، نقلوه إلى (فلسطين) و(الأردن) بواسطة سفينة حربية تابعة لهم [9]. وقد اختير الشريف (شرف) وصيا [10] بديلا، وأوعز إلى الكيلاني بتشكيل الحكومة، وقوبلت الحركة الجديدة بترحاب بالغ من قبل الشعب والمنظمات القومية في البلاد العربية[11]، أما بريطانيا فاعتبرت ذلك محاولة نازية[12].

وعدّت بريطانيا عُدّتها استعدادا لغزو البصرة، ثم بغداد، وبالفعل فقد احتلت منطقة (الميناء) و(مشروع الكهرباء) بعد أن جردوا الشرطة من الأسلحة، فانتشر النهب والسلب[13]، ثم سقطت (الفلوجة) بأيديهم، وأصبح الطريق ممهدا نحو (بغداد)؛ لأنهم

---

(1) ينظر: في دراسة العراق المعاصر: زكي صالح: 111. بغداد مطبعة الرابطة: 1953، ومحاضر مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي: 270،لسنة 1940.

(2) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 293. وجريدة الاستخبارات السياسية، سرية للغاية، العدد(6) 8 شباط 1941.

(3) من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث: إبراهيم الراوي: 212(بيروت مطبعة دار الكتب- الكتب-1969).

(4) ينظر: محاضر مجلس النواب، الاجتماع الاعتيادي لسنة 1940.

(5) ينظر: الأسرار الخفية في حركة مايس: 101.

(6) ينظر: محاكمتنا الوجاهية : علي محمود الشيخ علي : 88، صيدا: المكتبة العصرية: (بلا تاريخ).

(7) فرسان العروبة في العراق : صلاح الدين الصباغ : 45 ، دمشق : 1956 .

(8) تنظر: جريدة الاستقلال العدد(4007)، نيسان 1941، وتأريخ العنف الدموي في العراق: 305.

(9) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 45.

(10) تنظر: جريدة الاستقلال العدد(4012)، 11نيسان: 1941. وكتاب الوصي إلى رئاسة مجلس الأعيان من البصرة: 20 في 8 نيسان : 1941.

(11) تنظر: جريدة الرأي العام، العدد (478)، (13) نيسان : 1941.

(12) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 47.

(13) تنظر: مجلة أخر ساعة القاهرية : 13: العدد1977، 13 أيلول: 1972. وينظر: الحرب العراقية البريطانية: 270، 272. والأسرار الخفية: 155. ومذكراتي: عبد الله بن الحسين: 228، القدس: مطبعة بيت المقدس: 1945.

وصلوا إلى منطقة (خان ضاري)، ثم على مشارف (بغداد)، وعندما أدرك القادة خطورة الوضع، أقدموا على تشكيل (لجنة الأمن الداخلي في العاصمة)[1] لمواجهة الطوارئ، وأيقن الكيلاني أنّ أمل النجاح ضعيف، ولتجنيب الشعب المخاطر دخل القادة الأربعة (إيران) لاجئين سياسيين[2]، بعد أن خاضوا معارك باسلة مع الجيش البريطاني، استمرت (30) يوما[3]، وعاد(الوصي) إلى العراق في (22) مايس تحت حراب الانكليز يوم (1حزيران 1941) ((وبفشل ثورة مايس (1941) انتصر الحكم البوليسي، ونصبت المشانق، ولم يعد في العراق من يستطيع التنفس))[4] ((فقد بلغ الإرهاب في العراق حدّا لا يتصوره إنسان متمدن في هذا العصر))[5] وأعدم الضباط الأربعة، وكان لإعدامهم أثر عميق في نفوس العراقيين[6]. وقد كرّهت الأحداث تلك العائلة المالكة للشعب[7]، ونتيجة لذلك خرجت خرجت (كتائب الشباب) تهتف بسقوط (الوصي) عميل الانكليز[8]((وقد استغلت بريطانيا تلك الظروف السيئة لفرض إرادتها المطلقة عليهم))[9] لاسيما على (نوري سعيد) كون بريطانيا صاحبة فضل وجميل عليهم، فنفذّ لهم كل ما يبتغونه، فقد صفّى الجيش من العناصر الوطنية، وأحال عددا كبيرا منهم على التقاعد، وأعاد الضباط الاستشاريين البريطانيين، وقطع العلاقات مع إيطاليا، وأبعد الفلسطينيين عن العراق، وأعاد جميع من فصلتهم الحكومة السابقة من وظائفهم، وأصبح هدفه المحافظة على الأمن الداخلي من خلال الانسجام التام مع السفير البريطاني؛ لتعميق نفوذهم في العراق[10]. بذلك فشلت الحركة، وانتهت بالخذلان والخسران[11] ولكنّها أجّجت النفوس، وأيقظت الضمائر، مما عجل بقيام ثورة (1958).

## دور الجواهري في حركة رشيد عالي الكيلاني

إنّ موقف الجواهري من حركة مايس يشوبه الغموض، وتكتنفه الضبابية، لأسباب سوف نأتي على توضيحها. ومن يقرأ (مذكراته) يجده يهجم على الكيلاني، ويحمّله أوزار الحكم الملكي، لكونه كان من المقربين من البلاط لاسيما في عهد (عبدالإله)، فقد كان

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 62.
(2) ينظر: أوراق أيامي: طالب مشتاق: 1 : 405.بيروت: دارالطليعة: 1968.
(3) تاريخ العنف الدموي في العرق: 305.
(4) نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار: 13. ملحق جريدة المدى: دار المدى للثقافة والنشر: 2007.
(5) العراق الجديد: حسين جميل : 38، بيروت دار منيمنة للطباعة: 1958.
(6) ينظر: صفحات من الأمس القريب: عبد الرحمن البزاز: 172، بيروت دار الملايين: 1960.
(7) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 305.
(8) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 121. وتنظر: جريدة الاستخبارات السياسية العدد(23)، 7 حزيران: 1941. 1941.
(9) قضيتا الوطنية: فهد يوسف سلمان: 36، بغداد مطبعة الجامعة، دار الفكر الجديد.
(10) ينظر: العراق أمسه وغده: 69.والحرب العراقية البريطانية: 275.والتطورات السياسية في العراق: 87 و 109.
(11) ينظر: من شعرائنا المنسيين: 120.عبد الله الجبوري: دار الجمهورية للطباعة والنشر : بغداد : 1966.

(الكيلاني) يشغل منصب رئيس الديوان الملكي[1]، وهو صاحب تواقيع الولاء والخضوع للعائلة المالكة[2]، فكيف ينقلب عليه؛ليصبح بين ليلة وضحاها نازيا، هتلريا؟!!، ثم إن الجواهري يتحفظ على تسمية ما قام به الكيلاني بالثورة، لأنها كثيرة في حقها، فهي لا تعدو كونها حركة[3]. بعدما استغل بها طيب بعض الضباط والجنود، ليقول بأنه سيحارب سيحارب بريطانيا ((أقول ذلك ليقيني أن هذه وغيرها من الحقائق مدفونة في طي الصمت قدر ما هي محرقّة بقصد التضليل وقلب المقاييس والشغف بحظوة التقرب والزلفى على يد من هم أكفاء لذلك.)) [4]

إنّ تهجم الجواهري هذا لا يغير من حقيقة تأييده لحركة الكيلاني في بادئ أمره، حيث اعترف الجواهري بذلك قائلا: ((كنت انساق بعفوية وبراءة مع كل من يملك نفسا ثائرة مندفعة ...وهذا ما حدث مع حركة رشيد عالي الكيلاني))[5]، ومما يؤكد هذا التأييد أن الجواهري بعد فشل حركة مايس (1941) غادر العراق مع من غادر إلى إيران[6] إنّ هذا هذا التضارب في الأقوال مرده في حقيقته لا يتعلق بفلسفة الحركة من حيث المبدأ، وإنما لكونها اعتمدت على (ألمانيا) الهتلرية التي يبغضها الجواهري بغضا شديدا ويعدها خصما لدودا للبشرية، كما في قوله : ((كانت بريطانيا خصما مباشرا لوطني ... أما ألمانيا النازية ، فقد كانت خصما للبشرية كلها))[7]، ومما زاد من عداء الجواهري لألمانيا، هجومها على (الاتحاد السوفيتي)، الذي هو كعبة الشاعر، وملهمه أفكاره الاشتراكية، التي يريدها أن تسود على المعمورة كلها. بذلك نجد في أشعاره - في تلك المرحلة - ميلا واضحا إلى دول الحلفاء لكونها ناصرت الاتحاد السوفييتي في حربه ضد الألمان ففي قصيدة: (تونس)، يظهر إعجابه الشديد بالقائد البريطاني (مونتغمري) بما حقق من نصر على(رومل) قائد جيوش دول المحور قائلا:

ويا"مونتكُمْري" لو سقى القولُ فاتحاً ... سقتْكَ القوافي صَفوَها السلسلَ العذْبا
ولو كان ذوبُ العاطفاتِ نثارةً ... نثرنا لكَ الإعجابَ والشُّكرَ والحُبّا
نضتْكَ لدرءِ الشرّ عضباً " صياقلٌ" ... أعدَّتْ لِلُقْيا كلّ مستكبرٍ عضبا
حللتَ على" روميلَ " كرباً، وقبلها ... أحلَّ بأدهى منهُ " ولنكتنَ " كربا
وأنت انتزعتَ النصرَ من يدِ قادرٍ ... عليه، ولم ترحمْ معنىً به صبًّا
ودحرجتَه عن " مصر " وهو مُعرّسٌ ... بأحلامِهِ، يُحصي الخراجَ الذي يُجبى
وغرَّته من ريحِ الصحارى قبولُها ... فكيفَ رآها وهي مُعرِضةٌ نكْبا
دحا أرضَها، وانصبَّ كالموتِ فوقَها ... ولُحْتَ له موتاً على الموتِ مُنصبّا
تركتَ الذي رامَ السما يلمِسُ الثرى ... ومَن كان يشكو بِطنةً يشتكي السَّغْبا

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 366.
(2) ينظر: نفسه.
(3) نفسه: 365: 1.
(4) نفسه: 367: 1.
(5) نفسه: 169: 2.
(6) الأعمال الكاملة: 7. (المقدمة)
(7) مذكراتي: 1 : 370.

وبصـــرتَه لمـــا تصـــعَّرَ خَـــــــدُّه  بأنَّك أعلى من أخادعِـــه كعبا[1]

أمّا لماذا الحلفاء دائما على حق في نظر الشاعر؟ فلأن بين هذه الدول دولة كان اسمها (الاتحاد السوفييتي)[2] . إذا أن غزو ألمانيا (لروسيا) هو العامل الرئيس لتنكّر الجواهري لحرة مايس (1941)، ولم ينفرد الجواهري بهذا الرأي، وإنما هو موقفكل (اليسار) في العراق، ((فقد أيدّ الحزب الشيوعي حركة(رشيد عالي الكيلاني) بوصفها حركة وطنية، معادية للاستعمار البريطاني، فأدّى هذا الموقف إلى التسامح مع (الشيوعيين)، مما ساعد على انتشار الشيوعية[3] ((فوقفوا إلى جانب الشعب الذي أصبح هدفا للقنابل البريطانية، وفي الوقت ذاته وقف التقدميون ضد استغلال (ألمانيا) لهذه الحركة، وضد ما رافقها من التحريض على بعض السكان))[4]

فهم في حيرة من أمرهم بين ولائهم للعراق وكرههم لألمانيا لذا جاءت مواقفهم مؤيدة لحركة مايس على استحياء؛ فقبل وقوع الصدام بين ضباط حركة مايس وبريطانيا كانت العناصر التقدمية (جماعة الأهالي، الشيوعيون): ترى أن التصادم مع بريطانيا لم يحن أوانه في (1941)، نظرا إلى الخطر (الهتلري) الجاثم على كل أذهان العالم، ولأنّ العراق مهدّد بالخضوع إلى استعمار (جرماني) - فيما لو اندحرت بريطانيا - أشد من الاستعمار الأول قسوة، وأعظم شراسة، ولكن عندما وقعت حرب مايس وضعت الديمقراطيين في موقف حرج، فإما أن يكونوا مع الشعب، أو مع بريطانيا، فكانوا مع الشعب[5].ولكن هذا التأييد لم يدم طويلا، فقد((تغير موقف الحزب تجاه الحرب، بعد مهاجمة الجيوش الهتلرية لروسيا[6]في(حزيران1941)، فوصف الحرب بأنها(حرب الإنسانية)، ودعا شعوب العالم إلى تحمل نصيبها من الحرب[7]، وأدى هذا الموقف إلى التخفيف من شدة الإجراءات التي تتخذ عادة ضد الشيوعيين؛لأن أعمالهم كانت في حينها ضرورية لمقاومة النازية والفاشية في البلاد)) [8]، وهذا الذي كان من الشاعرالجواهري، الشاعرالجواهري، إذ أيّد الحركة، ولكنه لم يكن متحمسا كما في ثورة (بكر صدقي)، ولهذا لم نجد في ديوانه أنّه قد نظم شيئا في ضباط (مايس)، غير أنّه لم يخف فرحه بـ (يونس بحري)، الذي كان يقرأ أبياتا من شعره على الشعب عبر المذياع، يقول الجواهري:((عند الغروب، وقبل ليلة من توجهي إلى بغداد، عرجت على نادي الموظفين

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 414.
(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 148.
(3) ينظر: الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي: 4 : 770. والتطورات السياسية في العراق: 347.
(4) موقفنا من بريطانيا وألمانيا والاتحاد السوفييتي ومن حركة مايس(1941) عزيز شريف: 18. بغداد: بغداد: مطبعة السلام: 1948.
(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 118.
(6) ينظر: مذكراتي: 1 : 372.
(7) تنظر: جريدة الشرارة العدد،(5) السنة الثانية شباط1942.
(8) الموسوعة السرية الخاصة بالحزب الشيوعي العراقي: 4 : 770.

في (النجف)، وجلست استمع إلى المذياع، الذي كان يلتقط القسم العربي من محطة (برلين)، وكان صوت المذيع يهدر، ولم يكن ذاك سوى المذيع الرهيب (يونس بحري) الذي استطاع أن يبسط سلطانه على القسم العربي في الإذاعة الألمانية، واستمعت في نادي الموظفين، وأنا بين صفوة من أترابي وزملائي، إلى صوته يخترق أسماعنا: يا أهل العراق، يا جيش العراق، لا تستسلموا ولا تهنوا، تذكروا ما خاطبكم به شاعركم الجواهري في ثورة العشرين))[1] وراح ينشد:

لعلَّ الذي ولّى من الدَّهرِ راجعُ ... فلا عيشَ إنْ لم تبقَ إلا المطامعُ
جرى ثائراً ماء الفراتِ فما ونَى ... عن العزمِ يوماً موجُهُ المتدافع
حرامٌ عليكم وِردهُ ما تزاحمتْ ... على سفحهِ تلك الوحوشُ الكواسع[2]

يقول الجواهري: ((كنت موزعا بين إعجابي بان تدوي كلماتي في تلك الساعة، وبين مستسلم لواقع الأمر غير مكترث بعواقبه، وأعني أن أكون في ذلك الظرف العصيب الجديد، وانتصار القوات البريطانية مثيرا للجماهير، ولكن على لسان مذياع نازي))[3]، ثم يذكر الجواهري انه تنصل من (الكيلاني) عندما طلب منه قصيدة بالمناسبة، حيث يقول الجواهري :((اتصل بي (رشيد عالي الكيلاني) هاتفيا بمقري في إدارة الجريدة (الرأي العام) طالبا حضوري....قابلته كما أراد....وطفق يحدثني عن إعجابه بـ (الرأي العام)، وموقفي الوطني منها، وبخاصة موقفي من بريطانيا، وسرعان ما التقطت (بيت القصيد) مما أعده هو بالذات، ومما حزرته من قبل، ليقول لي، ولكنك يا جواهري تعرف قبل كلّ أحد أن الناس يطلبون منك ما ألفوه في مثل هذه المواقف من شعرك الجميل....فأجبته:أنت تعرف أنّ لكل شاعر مزاجه الخاص وانفعالاته الوجدانية، مما لا يسهل معهما الارتجال، ردّ عليّ....وإن أبياتا قليلة؟ قلت: طيّب، أحاول))[4]، ولملم الجواهري أمتعته، ليشدّ رحاله إلى مدينة (النجف) هربا من (الكيلاني)، ومكث فيها حتى عودة الأمير (عبد الإله) ومن معه من أتباعه، وتمّ على وجه السرعة تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة (جميل المدفعي)، ولم تمض سوى أيّام قلائل، حتى يتصل به (نور الدين داوود) مدير الدعاية العام، وهو أحد أقرباء رئيس الوزراء الجديد، طالبا منه عودة جريدة (الرأي العام) إلى الصدور، فكان جوابه أن كيف يعود إلى جريدته، وفي كل بيت مناحة، فلو فرش الطريق إلى الجريدة ذهبا لما أصدرتها[5]. وأنّي طويت الجريدة في أيام ذلك الرجل وما تزال مطويّة مطويّة حتى الآن، يقول الجواهري:((ذاك أرادني أن أبارك، على نحو غير مباشر النازية مستغلا غضبي على الانكليز، وهذا يريدني مادحا له وفي ظل الحراب البريطانية مستغلا كرهي للنازية))[6].

---

(1) مذكراتي: 1 : 368 ،398.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 63.
(3) مذكراتي: 1 : 398.
(4) مذكراتي: 1 : 367.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 368.
(6) المصدر نفسه: 1 : 370.

وكانت حكومة المدفعي تسعى وراءه لمضايقته، كما ضويق من قبل، فلم يكن ثمّة بُدّ من الإفلات، وترك العراق ليستقر به الحال في (إيران) ويومها دخلت القوات (الألمانية) الأراضي (السوفيتية) وراح الجواهري يتجول في شوارع طهران، يقول الجواهري: ((وخلال تجوالي وجدت نفسي أمام بناية واسعة، هي بين المقهى والمغنى، تحمل اسم (كافية استانبول) ...وقد أخذت مجلسي على كرسي وثير فارغ، وإذا بي أرى أشباحا تخيلت أنها مألوفة لدي، ولم تطل الرؤية، تقدم أحد الأشباح رويدا رويدا وكانت المفاجأة - إن لم تخني الذاكرة - هو (حكمت سليمان)، وإلّا بالضبط فـ (ناجي السويدي) واحتضنني وعانقني واقتادني معه إلى (الشلّة) من أترابه هناك وإذا هم : (يونس السبعاوي) و(علي محمود الشيخ علي) فانهالوا عليّ ترحابا وتقبيلا))[1]، ثم يستطرد الجواهري: ((وتفرست فيهم وجها بعد وجه، وقرأت على كلّ واحد منها - وبكل وضوح - ما يتناهبه من قلق وفزع على المصائر التي تنتظرهم...ولا بد لي أن أشاركهم وضعهم هذا تسلية وتصبيرا، وبعد ساعتين غادرت المكان مودّعا... وفي اليوم الثاني قال لي هادي الهاشمي: ((لقد قبض عليهم وجرى بعد ذلك أن نفي من نفي، وشنق من شنق، وسجن من سجن))[2]وظلّ الجواهري يترقّب الأحداث من هناك حتى إذا ما اطمأنّ عاد إلى العراق، لاسيما بعد أنْ تيقن بأنّ العراق قد شهد ما لم يشهده في (ربع قرن) من الحكم الوطني من انطلاق الكلمة الحرة والمعارضة فمن وجهة نظره كان فتحا جديدا للصحافة الوطنية، مما كان لها من ضمانة في تلاقي الحلفاء، بما فيهم (الاتحاد السوفييتي) وكان ذلك في نظره كافيا لردع الحاكمين، مما كانوا عليه من غطرسة التحكّم في الكلمة[3]، ونتيجة تلك الأوضاع الايجابية، وبتشجيع من صاحبيه (عبد الفتاح إبراهيم) و(ناظم الزهاوي) عاد إلى العراق لإصدار جريدته (الرأي العام) من جديد، وليس سوى أيام معدودة على إصدار صحيفته حتى يفاجأ بأنّ اسمه في ضمن القائمة السوداء، وأنّه مطلوب من قبل (الأمن)، فاستجار بالسيد (الصدر) بعد أن بات ليلة قلقة، وتدخل السيد (الصدر) له عند (صالح جبر) وسوّي الأمر، ولكن طلب منه مقابلة (صالح جبر)، وعند مقابلته تبين أن التهمة الموجهة إليه هي بسبب قصيدته التي أذيعت من إذاعة(برلين) فأخبره بأنه قد نظمها في (العشرينات) بمناسبة (ثورة العشرين)[4] وبعد عتاب متبادل بين الاثنين أخبره (صالح جبر) بأنه ضمن من تعتز بهم الحكومة إشارة منه ليكون بديلا صالحا عن (الرصافي) المغضوب عليه، بسبب مواقفه السلبية من بريطانيا، ولم تمض سوى مدة، حتى أصبح الجواهري شاعر (البلاط) ثانية، كما مرّ ذلك في موضوع رحلة الجواهري مع الوصي (عبد الإله) الذي وهبه مقعدا في المجلس النيابي، ولم يمكث الجواهري فيه سوى بضعة أشهر حتى كانت انتفاضة معاهدة (بورتسموث)1948 .

---

(1) المصدر نفسه: 1 : 373.
(2) مذكراتي: 1 : 374.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 375.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 379، 380، 381.

## الجواهري واتفاقية بورتسموث( 1948 )

عاصر الجواهري جميع الاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة العراقية مع الجانب البريطاني. وتعدّ اتفاقية (بورتسموث:1948)[1] من أهم الاتفاقيات التي أبرمت في عصره. ولم يكن الجواهري ببعيد عن مجريات الساحة السياسية، حيث واكب تلك الاتفاقية، منذ أيامها الأولى، مدركا في الوقت نفسه أن بريطانيا قد أجهدت نفسها طويلا، تمهيدا لخلق أجواء تمكّنها من توقيع تلك الاتفاقية.وأنّ استبدالها حكومة (أرشد العمري) القمعية بحكومة (توفيق السويدي) الوطنية[2]، ومن ثم احتضانها لـ (صالح جبر) والترويج له أعواما طويلة، لم يكن إلا لغرض تنفيذ تلك الاتفاقية، التي أعدت للعراق بعد الحرب العالمية الثانية، بغية ربطه بعجلة الاستعمار لسنوات طوال[3].

وبعد تشكيل وزارة (صالح جبر) بإيعاز من الانكليز، استقبلت بمعارضة كل الأحزاب السياسية التي أعلنت، أن الهدف من مجيء الوزارة الجديدة تنفيذ السياسة الاستعمارية[4]. ولكي يمهد(صالح جبر) لانجاز ما هو مطلوب منه، فقد عمد إلى حل المجلس النيابي، وإجراء انتخابات جديدة، وقد اختير (الجواهري) في ذلك المجلس نائبا عن (كربلاء)[5]، وكان في حينه على علم تام، ببنود الاتفاقية قبل إبرامها بعد ما أطلعه (الوصي) على مسودتها في (لندن) طالبا منه بيان رأيه فيها. يذكر الجواهري أن الوصي قال له: ((أحبّ وأنت في الطليعة فيمن أحب، أن أخصك بشيء، اعتبره بمثابة تصديق لهذا الحب، أن أطلعك على ما يهم الناس من نصوص المعاهدة ...أريد أن تبين لي نقاط الضعف فيها))[6] ولقد تركزت ملاحظات الجواهري على ما يتعلق بالقواعد العسكرية البريطانية في العراق وعلى ما يشبه التملك لطرق المواصلات....على طول مدة هذه المعاهدة الجائرة[7]. وفي ذلك إشارة واضحة منه إلى أنّها تكبّل العراق في حاضره ومستقبله، وسالبة لاستقلاله، ومنقصة لسيادته[8]. غير أن الوصي لم يعبأ بما قاله الجواهري، مفهما إياه في الوقت نفسه، أنْ ليس بالإمكان أفضل مما كان، ثم أن الانكليز يخوفونهم بين آونة وأخرى بـ (السوفيت)[9]، عندها أدرك الجواهري بأنّ الاتفاقية حقيقة واقعة، وأنّ الأسباب التي ذكرها (الوصي) لم تعد مقنعة له، وبات يحاسب نفسه:((كيف

---

(1) ((وقعت المعاهدة العراقية البريطانية في (15 كانون الثاني1948) على ظهر الباخرة (فكتوري) في ميناء بورتسموث)). جريدة العراق: العدد7313، 17 كانون الثاني1948.

(2) ينظر: الجواهري صحفيا: 207.

(3) ينظر: المعاهدات العراقية البريطانية وأثرها في السياسة الداخلية1922 -1948 فاروق صالح العمر: 393 -43 ، بغداد: 1948. وينظر: الجواهري صحفيا: 211.

(4) تنظر: جريدة صوت السياسة: العدد : 89 ، نيسان1947. وجريدة صوت الأهالي العدد1368، 30 اذار1947.

(5) ينظر: الجواهري صحفيا: 210.

(6) مذكراتي: 1 : 470.

(7) ينظر: نفسه: 1 : 471.

(8) تنظر: جريدة صوت الأحرار العدد46، 20 كانون الثاني1948.

(9) ينظر: مذكراتي: 1 : 471.

أعود مع حاشية عبد الإله؟ كيف سأواجه الجماهير المشدود بها، وماذا ستكون مسؤوليتي.))[1] فكان لا بد من موقف يسجّله لنفسه، كي يميزه منهم، لذا فقد حاول الفرار الفرار منهم والانفصال عنهم، ولكن أسبابا قاهرة حالت دون ذلك. ولتبرئة ساحته لجأ إلى جريدته ((فكتب فيه مقالا يتهجم على السلطة معارضا اتفاقية (بورتسموث) تحت عنوان (صفقة خاسر)، وقبل أن يخرج العدد من المطبعة أغلقت الجريدة))[2] بذلك يكون الجواهري، قد فضح للناس ما أمّنه الوصي عليه من أسرار الاتفاقية: ((الأمر الذي استقبله الناس بدهشة إذ كيف يصح لي أن أذيع ما كنت مؤتمنا عليه من أمر خطير))[3]، وعمق الجواهري من مواقفه الوطنية اتجاه ما يحاك للعراق. وكخطوة فاصلة بينه وبين الحكومة، قدم استقالته من (البرلمان) وذلك حين ((هبّ بعض النواب يعارضون معاهدة (بورتسموث)، وهي لا تزال تصاغ في (لندن) انضمّ إليهم في تقديم استقالاتهم احتجاجا على تلك المعاهدة))[4]، وما أن أعلن (محمد فاضل الجمالي) بنود معاهدة (بورتسموث) في في كانون الثاني (1948) للناس-وبشكل رسمي- حتى قامت مظاهرات في كل مكان منددة بالمعاهدة، وبإسقاط حكومة (صالح جبر)، وهاجم المتظاهرون بناية التحقيقات الجنائية، وبناية مطبعة (التايمس) وأشعلوا فيهما النيران[5].

واندفع الشاعر (محمد مهدي الجواهري) كعادته عنيفا، يتقدم صفوف المتظاهرين محرضا إياهم على الثورة ((وراحت صور وثبة كانون تمده بالغرر من قصائده السياسية المخلدة، التي كانت أعظم وقعا، وأكثر صدى من مقالاته اللاهبة، التي ظل يوالي نشرها في الرأي العام))[6] حتى أمست قصائده السياسية آنذاك شعارات يرددها المتظاهرون، ضد ضد معاهدة (بورتسموث)[7]، ومما زاد من غضب الجواهري، وانحيازه الكامل للجماهير، هو مهاجمة الشرطة للطلبة المتظاهرين، وإطلاق النار عليهم، فنتيجة لذلك كتب الجواهري مقالا افتتاحيا مثيرا في جريدته (الرأي العام) يحمل فيه على تجاوزات رجال الشرطة للقانون، ومما أثار حفيظة الوصي (عبد الإله) ووزارته فاتصل به (جمال بابان) نائب رئيس الوزراء آنذاك، محاولا إقناعه بالكف عن تحريض الجماهير، غير أن الجواهري ردّ قائلا: ((إنّ جريدتي منتمية إلى الجماهير، وإذا كانت مواقفها وأفكارها واتجاهاتها لا تروق بسياستك، فبإمكانك إغلاقها))[8]، وظل الجواهري يشحن الشباب،

---

(1) نفسه.
(2) الجواهري شاعر العربية: 63.
(3) مذكراتي: 1 : 470.
(4)الجواهري صحفيا: 211. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 384.وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 8.
(5) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 549. وتنظر: مجلة الوطن العدد12 السنة الاولى20 تموز1945.
(6) الجواهري صحفيا: 211.
(7) ينظر: شعراء عراقيون: 38.
(8) مذكراتي: 2 : 16.

والشارع العراقي بالحماسة والثورة، مطالبا إيّاهم الانتقام من رموز النظام آنذاك[1]، وقد وقد انقلبت المظاهرات إلى هياج جنوني مسلّح، ينذر بقيام ثورة داخلية في بغداد[2]، عندها عندها اضطرت الحكومة الملكية - تحت ضغط الواقع وخشية وقوع الأسوأ -إلى إصدار بيان: ((بأنّ المعاهدة العراقية البريطانية التي وقعت في (بورتسموث) لا تعبّر عن المصالح الوطنية للبلاد، وليست طريقا صحيحا من أجل تقوية الصداقة العراقية البريطانية، ووعد الشعب بعدم إبرام أي اتفاقية لا تضمن حقوق البلاد))[3] وانتهى الأمر بإسقاط حكومة (صالح جبر) وتشكيل وتشكيل حكومة جديدة برئاسة (محمد الصدر) الذي أصدر قرارا بعدم الموافقة على هذه المعاهدة[4] فابتهج الشعب بذلك كل الابتهاج، وتصدّرت جريدة (الرأي العام) قصيدة الجواهري: (قف بأجداث الضحايا) التي باركت الشعب بطولاته التي أسقطت تلك المعاهدة، وفيها يقول:

حضَنَ" التاجُ " بنِيهِ فتعالى ... وتعالى " حارسُ التاجِ " جلالا
وتعالتْ أمَّةٌ لم تنحرفْ ... عن مدى الحقّ ولا زاغتْ ضلالا
أمَّةٌ تكرهُ من مستعمرٍ ... فرضهُ النصرَ! وتأبى الانخذالا
وتخطَّتْ جمرةُ الغيضِ إلى ... " وقدة " الموتِ فزادتهُ اشْتعالا
ومشت " للهُلْك" تدري أنّه ... يسألُ الرُّوحَ عن الدُّنيا زوالا
والذين استنزفُوا طاقاتِهم ... في المشقَّاتِ همُ كانوا الرجالا
حضنَ التاجُ بنيه حضنةً اللَّيثِ ... لا يبغي عن " الشِبلِ " انفصالا
وتحدّى مَن تحدّى مُعلناً ... أنّه يقبلُ في الحقّ النِّزالا
وانبرت كفٌّ هي البُرء مشى ... فشفى من " مزمن" داء عضالا
تمسح الدمعة سالت حرّة ... فوق جرح فاح بالعطر وسالا [5]

ثم يعرج الجواهري إلى تلك الجموع، التي جاءت من كل حدب وصوب متحدية الطواغيت، مسترخصة الدماء والأرواح؛ من أجل فخار الأمة وعزتها، فهم بذلك كتبوا صفحة من صفحات التاريخ التي كشفت عن زيف عهد الزعامات المنتحلة، والادّعاءات الكاذبة، فنراه يقول:

---

(1) يذكر الجواهري أن (نوري السعيد) قد لقيه بعد انتكاسة الوثبة على متن طائرة للسفر قد جمعتهما مصادفة، ليقول له شامتا ومتحديا أمام الجميع وبلهجة تطغى عليها السخرية: ((ماذا تريدون؟ وكلمة ماذا تريدون إشارة إلى هتافات الجماهير في الوثبة حيث كان يهتف مناد...ماذا تريدون؟ فترد الجماهير إعدام صالح جبر ونوري السعيد)) مذكراتي: 2 : 35.
(2) ينظر: التطورات السياسية في العرق: 475 -549.
(3) المصدر نفسه: 542. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 53.
(4) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 22. ومذكراتي: 2 : 21.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 498.

يـــا حُمـــاةَ الطّهـــرِ فـــي مُعتـــركٍ ... زحـــمَ الطهـــرَ بـــه الرِجـــسُ فمـــالا
نسلُـــوا مـــن كـــلِّ حـــدبٍ نُســـوةً ... ورجـــالاً، وجنوبـــاً، وشمـــالا
يـــا شبابـــاً صَبَغُـــوا الأرضَ دمـــاً ... كـان فـي " وجنـة " سِفـرِ المَجـدِّ خـالا
منـــحَ الباغـــي هوانـــاً وصـــغى ... وحبـــا الأمَّـــةَ زهـــواً واختيـــالا
واكتبوهـــا صـــفحةً إنْ ذُكـــرتْ ... كنـــتمُ الأمثـــالَ فيـــها والمـــثالا
واختِمُـــوا عهـــدَ " زعامـــات " عـــفتْ ... كاذبـــاتٍ لفَقُوهُـــنَّ انتحـــالا
مـــن حُطـــامٍ لُـــمّ مـــن كـــلِّ خنـــا ... وادِّعـــاءٍ صـــارخٍ قيـــلا وقـــالا[1]

بذلك يكون الجواهري قد جسد صفحات مشرقة من تأريخ هذا الشعب، الذي يأبى الخنوع والركوع والهوان على مدى التأريخ. ويعترف المراقبون، بأن العراق لم يشهد في تأريخه الحديث تماسكا بين أبناء الشعب. من مختلف الطوائف والقوميات وتضامنا في مقاومة المخطط الانكليز، مثلما شهده في أثناء وثبة (الثامن والعشرين) من كانون الثاني سنة (1948) التي نسفت معاهدة (بورتسموث) الاستعمارية وقبرتها إلى الأبد.

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 499.

## الجواهري وشهداء الوثبة

واجهت الحكومة الملكية المظاهرات المنددة باتفاقية (بورتسموث) بالرصاص، مما أدّى إلى وقوع شهداء وجرحى، لا سيما تلك المظاهرة التي أرادت الجماهير المتظاهرة في بغداد العبور من على جسر الرصافة – الكرخ، حيث حصدتهم الرشاشات والبنادق، بأمر من (صالح جبر) فكانت معركة شعبية امتزجت فيها دماء الشباب الثائر، وسميت بـ(معركة الجسر)[1]. ومنذ اليوم الأول من الوثبة بارك، الجواهري انطلاقتها، وناصر مبادئها، ورثى شهداءها، إيمانا منه بانتصار الدم على السيف، لذا نجد أن الجواهري، كتب أروع قصائد الدم والشهادة في تلك المرحلة، التي جاءت معبرة - بشكل متسلسل تاريخيا- عن الأحداث الدامية في تلك المرحلة فاضحا فيها: ((جرائم السفاكين الذين أراقوا دماء الأبرياء في سبيل التمسك بكراسي الحكم ولخدمة المستعمر))[2] مطالبا في الوقت نفسه بإنزال العقاب بهم، ليكونوا عبرة لغيرهم من الذين استهتروا بأرواح الناس، منذرا إياهم بان أشباح تلك الدماء ستظل تطاردهم، وتقلق مضاجعهم، وتهزّ عروشهم، فنجد كل تلك المعاني وغيرها في قصيدة: (قف بأجداث الضحايا)[3] و(أخي جعفر)[4] و(يوم الشهيد)[5] الشهيد)[5] و(الشهيد قيس)[6] و(دم الشهيد)[7]. وهذا يعني أن الشهادة قد احتلت حيزا كبيرا كبيرا في فكر الجواهري، فهي تعني – على وفق منظوره – بأنها قيمة عليا يفرزها صراع الأضداد والنقائض في المجتمع .وهي فكرة استمدها الجواهري من الفكر (الماركسي) القائم في فلسفته على قواعد الصراع الطبقي[8]. وقد اتخذ الجواهري من الشهادة سلاحا لمقارعة الطغيان، وكان الحكام يفقهون تماما فلسفات قصائده ومقالاته. فلا غرابة بعد ذلك أن يصدر مجلس الوزراء قرارا بإغلاق جريدة (صوت الأحرار) للسيد (لطفي بكر صدقي)، لأن الجواهري نشر فيها مقالا بعنوان (جنازة) إثر مشاركته بمظاهرة تشييع شهيد مات في السجن[9].

لقد وجد الجواهري في رحاب (الشهداء) آفاقا واسعة، تمكنه من تجسيد آرائه وفلسفاته، لذا كان سباقا في قيادة تشييع شهداء (الوثبة) وتعظيم شعائرهم ففي (يوم 23 من عام 1948) اجتمع مع عدد من الصحفيين في بناية (نادي الطيران) لأجل الذهاب إلى مقبرة

---

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 537. والتيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 120. والثورة الجزائرية في الشعر العراقي: 193. وتاريخ العنف الدموي في العراق: 305. والأعمال الكاملة: 4 : 622.
(2) جريدة الناس (العدد)274، في 8، كانون الثاني: 1952.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 498.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 498.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 507.
(6) الأعمال الكاملة: 3 : 516.
(7) الأعمال الكاملة: 3 : 517.
(8) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 105.
(9) ينظر: مذاكرتي: 782.

(بـاب المعظم) لوضـع إكليـل مـن الزهـور علـى قبـور الشـهداء الـذين قضـوا فـي مظـاهرات الوثبـة[1]، وألقـى الجـواهري قصـيدة (قـف بأجـداث الضـحايا)، مصـورا فيهـا طهـر الشـهداء وبطولاتهم، التي يفوح منها عطر العزة وأريج الكبرياء، ثم يرسم آدابا وطقوسا تنسجم في مضـامينها مـع قداسـة الموقـف والمكـان، فيـأمر بخفـض الجنـاح فـي حضـرتهم تعظيمـا لهـم، وقول ما يلق بمنزلتهم. فهم المحسودون لنيلهم شرف سبق الشهادة، وهم المشـاعل الوضـاءة التي تنير دروب الأجيال، وصولا إلى شواطئ النصر والأمان، فنراه يقول:

قِـــفْ بأحـــداثِ الضـــحايا لاتُسِـــلْ ... فوقَهـــا دمعـــاً ولاتبـــكِ ارتجـــالا
وتلقَّـــفْ مـــن ثَراهـــا شـــمَّةً ... تمـــلأُ المِنخـــرَ عـــزّاً وجـــلالا
وضـــعِ " الإكليـــل " زهـــراً يانعـــاً ... فـــوقَ زهـــرٍ مـــن ضـــميرٍ يـــتلالا
ثـــمّ خفِّـــضْ مـــن جناحَيْـــك بهـــا ... ثـــمّ أبلغهـــا إذا شِـــئتَ " مقـــالا
أيّهـــا الثـــاوون فـــي جـــولاتكم ... "!طبـــتمُ مثـــوىً، وعطّـــرتمْ مجـــالا
كلُّنـــا نحســـدكم أنْ نِلـــتُمُ ... شـــرفَ الفرصـــةِ – مـــن قبـــل – اهتبـــالا
كلُّنـــا نمشـــي علـــى آثـــاركم ... بالضّـــحيّاتِ خفافـــاً وثقـــالا[2]

ويمضي الجواهري في رثاء شهداء الوثبة، واحدا تلو الآخر، معلنا بـأنّ دم الشـهيد هو تكريم للوطن الذي يستجير بشباب من مثله، في المدلهمات والخطوب، وأنّ الذين سفكوا دمـه، سينتقم منهم على يد الثوار إن عاجلا أو آجلا، فيقول:الجواهري في قصيدة، (الشهيد قيس )[3]:

يـــا قـــيسُ: يـــا رمـــزَ الشـــهادةِ ... عُطِّـــرتَ بـــدمٍ خَضـــيب
كرَّمـــتَ بـــالكَفَنِ المُخضَّـــبِ ... منـــك والخـــدِّ التريـــب
وطنـــاً بمثلِـــك مـــن بنيـــه ... يســـتجيرُ مـــن الخُطـــوب
ويـــرد أنصـــبةً إلـــيهم ... مـــا حبَـــوه مـــن نصِـــيب
بالمجـــدِ تَخلعُـــهُ الحُقـــوب ... علـــيهمُ تِلـــوَ الحقُـــوب
يـــا قـــيسُ يـــا قـــيس المُلـــوِّح ... فـــي شـــبابِك بـــالحروب
الشـــعبُ يثـــأرُ مـــن رُمـــا ... تـــك فـــي بعيـــدٍ أو قَريـــب [4]

ولعل الحدث الاكبر الذي هز كيان الجواهري وغير من مسار حياتـه ، هو استشـهاد اخيه (جعفر) الذي كان قد ترك دمشق قادما الى (بغداد) للمشاركة في احداث الوثبـة ، فخـر على الجسر سريعا (27كانون الثاني 1948) وقد صدقت نبوءة الجواهري باستشـهاد اخيـته (جعفـر)، يا لمرارات نبوءات الشعـراء، ومـا ان تيقـن الجـواهري نبـأ استشـهاد أخيـه مـن الإذاعة العراقية التي أذاعت النبأ، حتى ثـارت ثائرتـه[5]، وثـارت معـه الجمـاهير الغاضـبة، الغاضبة، والجماهير الموالية للأحزاب، بعد زحفت من كل حدب وصـوب، فاكتظت بهم طرقـات (الكـرخ) و(الكاظميـة) متدافعـة لتشـييع جثمـان جعفـر، ثـم زحفـت الحشـود

(1) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 534.
(2) الأعمال الكاملة: 3 : 499.
(3) وهو(قيس الالوسي) الذي استشهد في معركة الجسر، يوم 27 كانون الثاني: 1948.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 516.
(5) ينظر: الجواهري صحفيا: 121.

عبر(الأعظمية)عابرة جسر الأحرار الواصل بين الجانبين إلى حي (الصالحية)[1].فالشاعر (الصالحية)[1].فالشاعر الذي وتره النظام بأخيه، وتحداه بهذه الفعلة النكراء، ما كان له وهو يرى الجموع تهدر في الشوارع كالطوفان، وتغلي بغضبها كالمرجل العملاق إلاّ أن يلتحم معهم ذاتيا، وراح يقود الجموع على صعيد الحلم والتصور الشعري، وتفريغ الغضب، وكان بإمكانه أن يحيلها إلى ثورة حقيقية[2]، ولكنه لم يكن ليعيها بعد. ووارت الجموع جثمان الشهيد بالثرى في مقبرة (آل الجواهري) بالنجف وألقى الجواهري، بعد مراسم الدفن كلمة مؤثرة وقال للحاضرين: إنّكم ستسمعون في الأسبوع القادم قصيدة في رثاء أخي جعفر[3]. يقول الجواهري: ((والله ما كنت عازما على إلقاء القصيدة ولكنهم أرادوا منّي. قالوا لي غدا تشييع جنازة أخيك جعفر، وسهرت الليل بطوله أدخن، ثم قلت لنفسي..غدا تشييع جنازة أخي جعفر، وعار عليّ ألّا القي قصيدة عن أخي، ولكن لم تكن لديّ أي تجربة شعرية!ثم تساءلت مع نفسي وقلت:أتعلم يا جواهري أم لا تعلم؟وأمسكت برأسي من الدوار:وهنا أمسكت بالقلم، وقلت أتعلم أنت أم أنت لا تعلم))[4]، وفي رواية أخرى يذكر الجواهري أنّه بعد عودة المواكب الحزينة، عاد معها إلى بغداد ليقيم مجلس(عزاء)على روح أخيه وفي اليوم (الثالث)من العزاء، وفي صباحه تحديدا ترك مجلس(العزاء)على خلاف ما ينبغي، ودخل بيته الكئيب، الواقع على بعد أمتار من جامع(الحيدرخانه)، وأغلق الباب على نفسه، وبدأ الحداد بصراخ لم يمارسه من قبل، حتى خط ما تنزل عليه من الهام شعري، فكانت قصيدة (أخي جعفر)[5]. وفي عصر اليوم نفسه، نفسه، وفي الجلسة الختامية للعزاء، ومن سطح المسجد، ومن مكبرات الصوت، ألقى الجواهري قصيدته، وما أن فرغ من أبياتها الأولى، حتى سد الجمهور مداخل (شارع الرشيد) ليستمع إلى صوت شجيّ، وهو يؤبّن شهداء الوثبة عام (1948)[6]، وفيها يقول:

أتَعْلَمُ أمْ أنتَ لا تَعْلَمُ ... بأنّ جِراحَ الضَّحايا فَمُ
فمٌ ليس كالمُدَّعِي قولةً ... وليس كآخرَ يسترحِم
يصيحُ على المُدْقِعينَ الجياع ... أريقُوا دِماءَكُم تُطْعموا
ويهتفُ بالنَّفرِ المُهطعِين ... أهِينوا لِئامكُم تُكرموا
أتعلمُ أنَّ جِراحَ الشهيدِ ... تظلُّ عن الثأرِ تستفهم
أخي " جعفراً " يا رواءَ الربيع ... إلى عفنٍ بارِدٍ يُسلَم
ويا زهرةً من رياضِ الخُلودِ ... تغوَّلها عاصفٌ مُرزِم
لثمتُ جراحكَ في " فتحةٍ " ... هي المُصحفُ الطُّهرُ إذ يُلثم
أخي جعفر لا أقولُ الخيالَ ... وذو الثأر يقظانٌ لا يحلُم

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 19.
(2) ينظر: تطبيقات نقدية: 21.
(3) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 147.
(4) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 121.
(5) ينظر: مذاكرتي: 2 : 17.
(6) ينظر: الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 137. وينظر: رحيل آخر للعمالقة: 238.

تعلمـــتَ كيـــف تمـــوتُ الرجـــال وكيـــفَ يُقـــامُ لهـــم مَـــأتم[1]

في تلك الأبيات انصهر الجواهري بالجماهير انصهارا تاما ففيها ((التحم الخاص بالعام في الفاجعة، ولم يعد التفريق بينهما ممكنا، حتى على صعيد التأمل، وأصبح الشاعر من فرط حساسيته يلتمس نفسه في كل النفوس، وتلتمس النفوس فيه صوتها الأصل، النابع من لاوعيها الجمعي))[2]، كما تداخل البعد الوطني فيها مع القومي، فتمازجت المشاعر وأزيلت الحواجز أمام لشعور القومي الفياض، حيث تآخت المشاعر الشامّية مع العراقية[3]، كما في قوله:

صُـــرعتَ فحامـــتْ عليـــك القُلـــوبُ وحـــفَّ لـــك المـــلأ الأعظـــمُ
وأبلغَ عنك الجنوبُ الشمال وعزَّى بك المُعرقَ المُشئم[4]

وتعد هذه القصيدة من أكثر قصائد الجواهري شعبية وتألقا، حيث حفظها عن ظهر قلب مئات الآلاف من أبناء الشعب العربي، وعلى الرغم من ذلك فلم تشف تلك القصيدة غليل الجواهري، فشفعها بـ (قصيدة يوم الشهيد)، وألقاها في أربعينية الشهيد (جعفر) وفيها يقول:

يـــومَ الشـــهيدِ تحيّـــةٌ وســـلامُ بـــك والنِضـــالُ تـــؤرّخُ الأعـــوامُ
بـــكَ والضَّـــحايا الغُـــرّ يزهـــو شـــامخاً عِلـــمُ الحســـاب وتفخـــرُ الأرقـــام
بـــكَ يُبعـــثُ " الجيـــلُ " المُحـــتَّمُ بعثُـــه وبـــك " القيامـــةُ " للطّغـــاةِ تُقـــام
ســـيُنَكَسُ المُتذبـــذبونَ رِقـــابهم حتَـــى كـــأنَّ رؤوسَـــهم أقـــدام
يـــوم الشـــهيدِ طريـــقُ كـــلّ مُناضـــلٍ وعـــرٌ، ولا نُصُـــبٌ ولا أعـــلام
يـــوم الشـــهيدِ! لســـوفَ تعقِـــبُ فـــي غـــدٍ يومـــاً تُحـــارُ بكُنهـــهِ الأفهـــام
يـــوم الشـــهيدِ بـــك والنُفـــوسُ تفتَّحـــتْ وعيـــاً كمـــا تتفـــتَّحُ الأكمـــام[5]

إنّ استشهاد (جعفر) كان إيذانا بافتراق الجواهري كليا عن رجالات الحكم[6]، والتنازل الطوعي عن طموحاته السياسية؛ ليعلن بذلك عن بداية مرحلة جديدة في حياته، وهي مرحلة الثار والانتقام، ممن كان سببا في استشهاد أخيه، ويتجلى ذلك بوضوح، من خلال مقدمته التي وجهها إلى أخيه، قائلا:((أحب أن أخبرك يا جعفر أن الشعب هو الذي

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 502.
(2) الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 137.
(3) ينظر: رحيل آخر للعمالقة: 238.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 505.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 509.
حين كان الشعب يودع جثمان جعفر، منذ ذلك الحين، والجواهري فوق أكتاف الناس، يرفع رايتهم وأصواتهم...في خضم الناس، كان الجواهري يجد نفسه. يصير الشعب هو الشاعر، ويصير الشاعر هو الشعب. ينظر: رحيل آخر العمالقة: 239.
(6) ينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 187.

سيأخذ بثأرك.. توثق يا أخي أن دمك ودماء رفاقك تفور، وستظل تفور، حتى يثلجها دم الخونة المراق))[1].

وبدأ الجواهري رحلة المشاق من جديد متهجما على رجالات السلطة بلا هوادة، ويتجلى لنا ذلك في قصائده التي نظمها في أواخر (الأربعينات) وبداية (الخمسينات)، كما في قصائده (غضبة)[2] و(يا ثمر العار)[3] و(هاشم الوتري)[4] و(أطبق دجى)[5] و(في و(في مؤتمر المحامين)[6] و(ما تشاءون)[7] و(كفارة وندم)[8] و(يا أم عوف)[9] و(خلفت و(خلفت غاشية الخنـــوع)[10] و(ذكرى المالكي)[11]. لقد حاولت الحكومة، جبر ما كسر بينهما عن طريق المغريات، وذلك عندما ((أرسل الوصي (عبد الإله) ممثلا عنه في تشييع الجنازة، فقصده الجواهري ليشكره على موقفه، وإذا بالوصي يفاجئه بقوله (إن مكانك محفوظ)، وكان يقصد المجلس النيابي، فأجابه الجواهري( ينتخبني الشعب) في إشارة منه للتزوير والتزييف لإرادة الناخبين))[12] ويبدو أن الجواهري عازم هذه المرة على قطيعة لا لا رجعة فيها، إذ كيف يمد يدا لأيد تلطخت بدماء أخيه، وزيادة على ذلك أن فيهم من راح يتاجر بدمه، طلبا للمناصب وقد فضحه الجواهري بقوله: ((أجل استغللت دم أخي...فأصبحت وزيرا وغدوت نائبا...وتصرفت بما عهد إليك من مسؤولية الحكم أسوأ تصرف، ولست أنا الذي زهد في كل ذلك.واكتفى بالسواد والدموع، وبذل كل ما يملك من حطام لمحاولة إنقاذ أخيه))[13]. وقد صور ذلك في قصيدته: (غضبة)، وفيها يقول:

عَـرَتِ الخُطـوبُ وكيـف لا تعْـرو ... فصـبرتَ أنـتَ ودِرعُـك الصَّـبر
عَـدَتِ الضِّـباعُ عليـك عاويـةً ... ظنَّـا بأنَّـك مأكـلٌ جَـزر
وزعـيمُ قـومٍ كـالغُرابِ بـه ... صِـغرٌ وفـي خَطواتـه كِبـر
يغتـرُّ أنْ ألقَـوا بمِعدتِـه ... عَفـنَ الطعـامِ فـراحَ يجتـرّ

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 501. وينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 120.
(2) الأعمال الكاملة: 3 : 524.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 528.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 561.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 567.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 617.
(7) الأعمال الكاملة: 4 : 634.
(8) الأعمال الكاملة: 4 : 657.
(9) الأعمال الكاملة: 4 : 664.
(10) الأعمال الكاملة: 4 : 672.
(11) الأعمال الكاملة: 4 : 689.
(12) الجواهري شاعر التجديد والثورة: 54. وينظر: الجواهري جدل الشعر والحياة: 214.
(13) جريدة الحضارة العدد64 في24 تموز1948.

أضحى وزيراً فاغتدى رهِقاً ... مثلَ الحمارِ يؤودُهُ الوزْر
والتفَّ عن أطرافهِ همجٌ ... مثل النعامِ يسُودُوها الذُّعْر
من فاجرين بكلِّ قارعةٍ ... حلّو تحدَّثَ عنهم العُهر
ومفرقين مذاهب جمعت ... وحنا عليه الآي والذكر
مثل اللصوصِ يلمّ شملَهُم ... خيطُ الدُّجى ويحلُّه الفجر
ياعبدَ سوءٍ في مزاعمه ... يشتطُّ حيث تحرَّرَ الفكر[1]

وبعد مضي سنوات (ثلاث) يعاود الجواهري هجومه كرة أخرى على (صالح جبر) المتهم بسفك دم جعفر، والمتاجر به، وبدم رفاقه مذكّرا الحاضرين، كيف تجرأ ذلك العميل على حصد أرواح تلك الزهور، التي دافعت بطهرها عن كرامة العراق بثورتها التي أوشكت على أن تعصف بعروش الطغاة إلى الأبد؟ ، فيقول:

أبتّكُم:لا أحبُّ الشّكاةَ ... ولكنَّها همسةُ الحائر
تُريكُم يدَّ الغاصِبِ المُختفي ... وراءَ يدِّ الخائنِ السافر
مضى أمسِ يسحبُ من خلفِه ... شباباً كزَهْرِ الرُّبَى العاطر
على الجسرِ يَمحونَ عن شعبهم ... وتأريخِه، فجرةَ الفاجِر
ولمَّا أمالُوا خيامَ العُتاةِ ... بعاتٍ من العاصفِ العاصر
وكادتْ تُطيحُ بأوتادها ... إلى "حيث " و" الأبد الداهر "!
تنصَّلَ من نحرِهم غاصبٌ ... وأومأ إلى " عبده " الناحِر[2]

وظل دم جعفر يصرخ في ضمير الجواهري على مر الأيام والسنين، ليوقظه كل مرة على حكم لم يتحقق[3] بعد حتى إذا قامت ثورة (1958) بعد (عشر) سنوات، يستفيق الجواهري على عهد جديد؛ ليلوذ بمفجر الثورة بالانتقام من قتلة شهداء الجسر، حيث نراه يقول:

لا تَسْجَحَنْ حيثُ النَكَّالُ ضرورةٌ ... ولقد يكونُ نِكايةً إسجاحُ
وَتَذَكَّرَنْ ما أسلَفُوا، وتجَرَّمُوا ... في الرافدينِ وأهرَقُوا، وأباحوا
في الجسرِ مِن عَبقِ الدماءِ زكيَّةٌ ... رصَدٌ لجُرمِ مُبيحِها فضّاح
ناحتْ بيوتُ المستباح ذِمارهم ... فلْيعلُ في بيتِ المُبيح نُواح

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 524.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 622.
(3) عندما ضاقت الأحوال بالشاعر في العراق في أوائل (الخمسينات) غادر إلى مصر، وقبيل مغادرته زار زار الشاعر أمه وقال فيها أبياتا، يصفها بأنّها عظيمة؛ لأنها أنجبت فتى هماما مثل (جعفر)،حيث يقول:

**تعالى المجد أيام الرزايا ... تمخض عن جبابرة ضخام**
**تملي القبر منها أي عطر ... ووجه الأرض أي فتى همام**

الأعمال الكاملة: 4 : 614.

وَلْتَــزكُ بالــدَمِ مُجــدياتُ ضــمائرٍ مَــوتى ويُعشــبُ أجــردٌ صِحصــاح
أجهــزْ علــى الإفســادِ تُنجِــزْ عبــرةً للمفســدين، ويكمُــلُ الإصــلاح
وهِــبِ الجمــوعَ رُؤوسَــهمْ تَــنْفَحْهُمُ ولأنــتَ مَنَّــاحُ الجَــدا نَفَّــاح
واقطِفْ زروعَ الشرِّ في ريعانِها فهُمُ أتاحُوا قَطفَها وألاحُوا[1]

وما أن غادر الجواهري أرض العراق إلى براغ على اثر خلاف مع (عبد الكريم قاسم)، الذي لم ينصفه في قتلة أخيه، ونتيجة الغربة والفراغ باتت الفواجع القديمة الكامنة في لا وعي الشاعر تعاود نفسها من جديد؛ ليعيش كوابيس مفزعة في تلك البقعة المطلّة على بساط أخضر طرزته الأزاهير اليانعة من فندق (انترناشنال) الشهير في (براغ) ليكتب من خلال أرقه قصيدة (يا دجلة الخير)، التي يتفجر فيها الشاعر دما، ولحنا وهو يستعيد الذكريات العذبة، والأحاسيس الحلوة في دارته هذه فهي مجمع الشمل من صحب عزيز فجع به، ويريد أخاه الشهيد (جعفر) ووالدته التي توفيت في السنة الأولى من تغربه عن الوطن، وهما الآن ضجيعا كرى أعمى يلفهما معا، رأسا إلى رأس وروحا إلى روح في مطمورة دون، هو قبرهما الحزين في مقبرة (آل الجواهري) وهو يشتد في حزنه، إذ يقول أن طيفي هذين الحبيبين لا ينفك أبدا يطيف به، وأنّه قد تراءى له الطيف ماشيا إليه على مهل ليحييه، وليجدد عهدا به فإنّه - الشاعر- ليترفع إجلالا لهذا الطيف واعتزازا به من أن يفتح عينيه ليراه، إذ إنّ في ذلك إضاعة بعض الشيء للرؤية الكاملة، وإنما يطبق جفنا على جفن ليراه على حقيقته في ذهنه، في قلبه، في صفاء الرؤية، وهي تجمع إليها هذا وذاك، حتى لكأنّ بريق الموت الخاطف المخيف يعيشه، فيلجأ إلى أن يراه على تلك الشاكلة من الرؤية، فيقول:

يا مجمعَ الشّملِ من صحبٍ فُجعتُ به وآخــر رُحــتُ أبلــوه ويبلــوني
لا ضــيرَ كــلُّ أخــي عُــشٍّ مُفارقــهُ وأيُّ عــشٍّ مــن البــازي بمــأمون
ويــا ضَــجيعيَ كَــرَىً أعمــى يلفّهمَــا لــفَّ الحبيبــين فــي مَطمــورةٍ دون
حسبِي وحسبُكما مـن فرقـةٍ وجـوىً بلاعــجِ ضــرمٍ كــالجمرِ يكــويني
يــا صــاحبيَّ إذا أبصــرتُ طيفَّكُمــا يمشــي إلــيَّ علــى مهْــلٍ يحيّينــي
أطبقــتُ جفنــاً علــى جفــنٍ لأبصُــرَهُ حتــى كــأنّ بريــقَ المــوتِ يُغشــيني
إنِّي شممتُ ثرىً عفناً يضمُّكما وفي لُهاثيَ منه عِطرُ "داريــن[2]

ويختم الجواهري رحلته مع أخيه الشهيد (جعفر) في قصيدته (إليك أخي جعفر) فيشكوه فيها مدلهمات الحياة وخطوبها، وفيها يقول:

دبَّــتْ عليــك زواحــفُ الأعــوام وبرئــتَ مــن جُــرحٍ وجُرحــيَ دامــي
شِــوهاءُ غصَّــتْ بالفظــائع كأسُــها وأمــرَّهُنَّ فظاعــةُ الأوهــام

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 716.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 785.

مَن ذا يصدِّقُ أنَّ يوميَ عِندها شهرٌ وشهريَ قيدُهُنَّ بعام[1]

## ثورة14 تموز( 1958 )

على إثر السياسات الخاطئة، التي اتبعها النظام الملكي، تلك السياسات التي تمثلت بالاعتماد الكلي على إرادة المحتل وقوته، والابتعاد عن طموحات الشعب وتطلعاته، انقطعت الصلة بين الشعب والحكومة[2]، مما أدى إلى بروز تطورات شهدها العراق خلال تلك المرحلة، قد أثرت في مسيرة الحركة الوطنية اللاحقة، حيث مهدّت السبيل لقيام ثورة1958[3]. وذلك بعد السيطرة على قصر (الرحاب)، واستسلام من فيه للثوار[4]، ثم صفي جميع أفراد العائلة، وسحلت الجماهير جثة (عبد الإله) في الشوارع، ثم أحرقت وقذفت في نهر (دجلة) أما (نوري السعيد)، فقد حاول الهرب إلى السفارة (البريطانية)، ولكن اكتشف أمره، فهاجمته الجماهير وقتلته بعد التمثيل به[5]، وما أن سمع الناس بالبيان الأول، حتى انطلقوا في الشوارع يهتفون بحياة الثورة والثوار؛ لكون البيان الذي تضمن أهداف الثورة قد تمثلت فيه أماني الشعب وأهدافه[6]، ولم تكد تمضي أيام معدودات على ثورة (14 تموز) ((حتى لاحت في الأفق سحب حمر تحمل معها مناخا مرعبا، لم يألفه العراق من قبل. ومع إطلالة (1959) مهدّ (عبدالكريم) لتنفيذ خطة تستهدف القضاء على الوعي القومي، وحركته وطلائعه وإحلال الشعوبية، كتيار حاقد على العروبة))[7]، فقد استغل(اليساريون) الجو السياسي الجديد، لإظهار آرائهم المناقضة لأهداف القوى الوطنية والقومية[8] ((وأخذوا يتكلمون- بشكل استفزازي - وكأنهم أصحاب الثورة، والقائمون بها أصلا وفعلا، ويصفون من يعارضهم بعدو الشعب والعميل))[9]، وقد ارتكب الشيوعيون مجازر كبرى في (الموصل) و (كركوك) من خلال (المجالس العرفية) التي تشكلت في زمن (عبد الكريم)، وقد اعترف (قاسم) بأنّ عداءه لـ (عبد السلام) هو الذي اضطره إلى هذا التحالف مع الشيوعيين[10]، ونتيجة الصراع بين الزعيمين ناصر الشيوعيون (عبد الكريم قاسم) وأخذوا يهتفون بالزعيم الأوحد، وتمجيد الاتحاد السوفيتي والمطالبة بالاتحاد الفدرالي[11] وراحت صحف اليسار تحاول النيل من (الجمهورية العربية المتحدة)

---

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 874.
(2) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 39.
(3) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 742.
(4) ينظر: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين: 68.
(5) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 310.
(6) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 32.
(7) محاضرات في الشعر العرقي الحديث: عبد الكريم الدجيلي: 162.
(8) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 32.
(9) الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين: 45.
(10) ينظر: المصدر نفسه: 91.
(11) المصدر نفسه: 69.

وقيادتها[1]، وعندما أيقن (الضابط الأحرار) بأنّ (عبد الكريم) قد خان الثورة، وعاث بمبادئها وأهدافها، حين استبدل بهم رموزا دخيلة على الثورة، قاموا بالثورة عليه كما في ثورة (الشواف) التي جاءت تصحيحا لثورة (1958)[2]، وحين أخفقت الثورة ((حكم على عدد كبير منهم بالإعدام منهم (ناظم الطبقجلي) و (رفعة الحاج سري) والأخير هو من أول الثائرين على العهد المباد، وأول من بدأ تنظيم الضباط الأحرار))[3]، ثم دبر القوميون عام عام (1959) محاولة لاغتياله ولكنها باءت بالفشل[4]، واستمر (عبد الكريم) في حكمه (أربع) سنوات أخرى، منفذا سياسة الحكم الواحد حتى أطيح به وبحكمه، على يد رفيق دربه (عبد السلام عارف) في (14 رمضان عام 1963)[5].

## الجواهري وثورة ( 1958 )

كان الجواهري قبيل قيام الثورة (14 تموز 1958) يعمل مزارعا في منطقة (علي الغربي)[6]. في أثناء قيام الثورة – بعدما اهتز العراق من أقصاه إلى أقصاه – أسرع الجواهري بالعودة إلى بغداد، لزيارة بيته الواقع في منطقة (الأعظمية)[7]، وبينما هو في في الطريق، وإذ به يرى على واجهة السيارة التي تقله صورة ضابط عسكري مكتوب تحتها: (الزعيم عبد الكريم قاسم)، فتمعنها جيدا ثم عرف صاحبها على الفور، بأنهما التقيا في السفارة العراقية في (لندن) سنة (1947)[8]، إذ لم يدر بخلده يوما أن يصبح ذلك الضابط الشاب الخجول، المنطوي على نفسه، زعيما لهذه الثورة العظيمة. وعندها قرر الجواهري تهنئة الثوار، ويفاجأ أنّ الإذاعة تنتظره لإلقاء قصيدة، وعندما اعتذر، أبلغ بأن (الزعيم) في انتظاره في وزارة الدفاع[9]، يقول الجواهري: ((دخلت وزارة الدفاع لأجد في القاعة الأوسع والأفخم منها صاحبي القديم (الزعيم) الذي تلقاني بكل ترحاب، وطوّقني بذراعيه، وأصعدني إلى المنصة، وأجلسني بجانبه لأرى القاعة مليئة بصور متلاحمة... هي صور أعضاء مجلس الوزراء))[10]، ويستطرد الجواهري بأنّ (عبد السلام) قال له: ((يا أستاذ جواهري لقد كنا – ونحن نقطع مراحل مسيرتنا – نتغنى

---

(1) ينظر: حقيقة وإسرار الشيوعية المحلية: 81. لمعي المطبعي: دار الكرنك: القاهرة: 1961.
(2) يقول الشواف: ((قلت لقاسم إنّ القرآن مزق مرتين مرة في عهد هولاكو عندما أباح بغداد ومرة ثانية ثانية في الموصل في عهدك...)) الصراع بين عبد الكريم والشيوعيين: 115.
(3) سقوط النظام الملكي في العراق: 39.
(4) ينظر تأريخ العنف الدموي في العراق: 156.
(5) ينظر: الجواهري شاعر القرن العشرين: 72. وينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق: 157.
(6) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 71. وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 9.
(7) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 152.
(8) يقول الجواهري: ((أنا قماش أخلع نفسي على كل الأطراف السياسية والوطنية، وهذا من حسن حظي حظي كانت هناك بعثة عسكرية، تضم ملحقين وموفدين من ضباط، يتسابقون عليّ ويجرّني الواحد بعد الآخر...وكان بينهم ضابط شاب، أشد إلحاحا عليّ بأخذ حصة أكبر، فأخذني إلى شقته المتواضعة وكان هو عبد الكريم)) ينظر: مذكراتي: 1 : 473.
(9) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.
(10) مذكراتي: 2 : 192.

بأشعارك))[1]، كما أن (عبد الكريم قاسم) كان من أشد المعجبين بشعر الجواهري، وبمواقفه الجريئة[2]. وكان (الزعيم) قد أرسل سيارة عسكرية خاصة للجواهري لهذا الغرض، لذا لم يكن أمامه من سبيل إلا إلقاء قصيدته التي كان يتمتم بها، وهو في طريقه إلى بغداد، عبر الإذاعة العراقية، وكان مطلعها:

سدِّدْ خُطايَ لكي أقولَ فأحسِنا ... فلقد أتيتَ بما يجلُّ عن الثّنا
جيشَ العراقِ ولم أزلْ بك مؤمناً ... وبأنَّك الأملُ المُرجَّى والمنى[3]

ولم تمض سوى أيام، ويفاجأ الجواهري بأنّ الزعيم يزوره في بيته؛ ليعلن للملأ ((أن هذا البيت قد أنضج الثورة))[4]، وأنّ زيارته للجواهري، هي زيارة لكل أديب، بوصفه كبير شعراء العراق. وردّا على زيارة (عبد الكريم قاسم) شكل الجواهري وفدا من الأدباء العراقيين برئاسته؛ لتقديم التبريكات إلى قائد الثورة، والتهنئة بالعهد الجديد[5]، ثم اختير الجواهري رئيسا لاتحاد الأدباء العراقيين، وبعدها نقيبا للصحفيين، فضلا عن ترؤسه لجريدة (الرأي العام)[6]، وأصبح الجواهري من اقرب المقربين إلى (عبد الكريم قاسم) فكان لا يرد له طلبا، ولا يناديه إلا بالأستاذ (الجواهري)، ويذكر الجواهري أنّه اطّلع على جريدة (اللوموند) الفرنسية في أحد أعدادها وفي الأسبوع الأول أو الثاني من قيام (الجمهورية) ما يكاد يكون بالحرف الواحد أنّ أقوى شخصية لها الكلمة المسموعة لدى الزعيم (عبد الكريم قاسم) هو الجواهري[7]، وبلغت العلاقة بينهما حدودا بعيدة، حتى أصبح موطن سره، وعلاقة قلبه، يخشى عليه أكثر ما يخشى على نفسه، فقد أنقذ الجواهري حياة (عبد الكريم قاسم) عندما أبلغه بما اخبره به السفير السوفيتي من وجود محاولة لاغتياله من قبل (عبد السلام)[8]، كما كان ينبهه باستمرار ومن خلال أشعاره بأنّ بأنّ أجهزة أمن (جمال عبد الناصر) تسعى لإسقاط جمهوريته الفتية، كما في قصيدة (المستنصرية)، كما يقول:

---

(1) المصدر نفسه: 2 : 194. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 174.
(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 706. ونشرت حينها في مجلة الفكر (العدد) الثاني(آب)1958.
(4) مذكراتي: 2 : 207.
ويبدو أن كلا من (عبد الكريم القاسم) و(عبد السلام عارف) كانا يتنافسان على كسب الجواهري، فكل منهما يريده أن يكون إلى جانبه في الصراع الدائر بينهما، لذا نجد - ومن باب رد الفعل- أن عبد السلام قال للجواهري: ((سأزور بيتك كما زاره قاسم)) وفي الطرف الآخر طلب (وصفي الطاهر) مرافق (قاسم) من الجواهري عدم استقبال (عبد السلام) في العمارة، فكان الجواهري من حصة (قاسم) لودّ عميق بينهما. ينظر: مذكراتي: 2 : 211 : 212.
(5) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 154.
(6) ينظر: الجواهري صحفيا: 217.
(7) ينظر: مذكراتي: 2 : 173.
(8) ينظر: المصدر نفسه: 2 : 217.

أبــا الشــعبِ لا أخفيــكَ بثّــاً يهزُّنِــي ومــا أنــا للخِلّــي الصــريحِ مُــرّوب
تســرَّبَ همــسٌ أنّ فقْعــاً بقرقــرٍ يعــدُّ شــراكاً للهزبــرِ ويَنصــب[1]

وبلغ حرص الجواهري على زعيم الثورة، ودفاعه عنه، هو أنّه قاطع إحدى جلسات الدورة (الرابعة) لمؤتمر أدباء العرب في دولة (الكويت) لمجرد أن إحدى الصحف قد اعترضت على استخدام الجواهري لعبارة (الزعيم الأوحد) بحق (عبد الكريم قاسم) في معرض حديث للجمهور من أنّه يحمل رسالة من الزعيم الأوحد إلى أمير الكويت[2] وقال في الحاضرين: ((أنا عراقي، وأنا انطق بلسان رئيس البلاد...وعار أن أحاسب على لفظ...فإما أن تعاقب الجريدة، وإما أن نعود إلى العراق، وعطّلت الجريدة ليوم واحد))[3]. وأن الجواهري كان صادقا في حبه[4] وفي دفاعه عن زعيمه، لأنه وجد لمكبوتاته النفسية القديمة متنفسا، ولطموحاته الشخصية تحققا على أرض الواقع، فضلا عن قواسم مشتركة أخرى مازجت بينهما، كالفكر، والمزاج، والفقر، يقول الجواهري: ((حال عبد الكريم يشبه حالي في الفقر، وهذا ما انسحب على كل قراراته لاحقا، ولكنه كان حي الضمير نزيها، أكثر الرؤساء وطنية وأشدهم انتماء للفقراء؛ لأنه عاش فقيرا فثار للفقراء، فحوّل صرائفهم إلى عمارات))[5]، وهذه شهادة حق يقولها الجواهري برغم ما أصابته من ويلات ويلات فيما بعد على يد (عبد الكريم قاسم) ونظامه. وأنّ موقف الجواهري من الثورة هو موقف كل إنسان وطني طموح كان يقوده حلمه وتفاؤله، بأنّ العهد الجديد سينقله من مرحلة العبودية والتخلف والاستغلال، إلى مرحلة الانعتاق والتحرر، فليس غريبا ما لاحظناه عليه من حالة النشوة والاستبشار.

## عبد الكريم قاسم في شعر الجواهري بين المدح والهجاء

### أولا: المدح

لقد وجد الجواهري ضالته المنشودة -التي طالما بحث عنها عقودا طويلة- في شخصية (عبد الكريم قاسم) الذي بهر الملايين بأطروحاته وأفكاره، التي جاءت متوافقة -في إطارها العام- مع ما يؤمن بها الشاعر من أفكار وأيدلوجيات، فضلا عن كون (عبد الكريم قاسم) هو أول شخصية عراقية، يتولى زمام أعلى سلطة في العراق، منذ قرون

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 749.
(2) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 165 -168.
(3) مذكراتي: 2 : 227.
(4) بعد نجاة (قاسم) من محاولة الاغتيال، ألقى الجواهري كلمة (اتحاد الأدباء) في حضرته، وفيها يمدح (قاسم) بكلمات، تظهر مدى حبه له، حيث يقول: ((لك الحياة رفاها أيها البطل المعافى، والأكف استطابت لحمك برصاصها الشلل، وللجماهير وللوطن وللثورة وللجمهورية وللأمة العربية كلها البشرى بسلامتك...يا أعز الناس عليها وعلينا...)): مجلة الفكر (العدد) الخامس، السنة الثانية: 1959.
(5) مذكراتي: 2 : 176.

طويلة، ومن ثمَّ أنّ من أطاح بهم (الزعيم) هم ممن جاء بهم المحتل، وهذا يعني أن حكومة (قاسم) هي حكومة وطنية، مستقلة معبّرة عن طموحات الشعب وأمانيه. فلتلك الأسباب وغيرها اندفع الجواهري نحو (قاسم) اندفاعا لا مثيل له، ويمكن تشبيه موقف الجواهري مع(قاسم) بموقف الشاعر (جون ملتون) مع (كريمول) الذي ثار ضد ملك انكلترا سنة (1649) بسبب استبداده وطغيانه، ليعلن على أنقاض تلك المملكة الخاوية جمهورية ذات مبادئ سامية. وكان الشاعر وقتئذ من أصدق المناصرين لها، كما كان أفصحهم لسانا في الدفاع عنها[1]، ومن يتطلع إلى قصائد (الجواهري) في تلك المرحلة يجد أنّ ما قاله الجواهري في (عبد الكريم) لم يقله في أحد سواه من قبل ومن بعد. ومن أشهر تلك القصائد: (جيش العراق)[2] و(باسم الشعب)[3] و(أزف الموعد)[4] و(عيد أول أيار)[5] و(أنشودة و(أنشودة السلام)[6] و(المستنصرية)[7]، فهذا العدد من القصائد الطوال، يبدو كبيرا إذا ما إذا ما قيس بالعمر الزمني، الذي عاشه الشاعر في ظل جمهورية ممدوحه، والذي كان بحدود (سنتين وأربعة أشهر)، ويبدو العدد أكبر مما مضى، إذا ما قورن بقصائده المدحية في الملوك والأمراء في مرحلة ما قبل الثورة.وهذه النتيجة تقودنا إلى مدى انشغال المادح بممدوحه[8] وانهماكه به، لدرجة انه خلع عليه من الألقاب والصفات، ما لم يخلعه على أصحاب التاج والصولجان من أهل العروش، ففي قصيدة(جيش العراق)يقول الجواهري:

(1) ينظر: ملتن: لورد ماكولي: 66. ترجمة محمد بدران: مطبعة الخانجي: القاهرة: 1946.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 706.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 716.
(4) الأعمال الكاملة: 4 : 719.
(5) الأعمال الكاملة: 4 : 729.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 725.
(7) الأعمال الكاملة: 5 : 752.
(8) يقول د. ماجد أحمد السامرائي: ((تلك المواقف كانت عابرة، وجاءت في ظروف معقدة، وفي ظل الإرهاب، أو لدوافع حزبية، أو لإرضاء حكام ذلك العهد، ولم تكن مواقف شعرية صادقة..فالشاعر الحقيقي ملتزم قوميا واجتماعيا.)) التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 159.

عبد الكريمِ وفي العراقِ خصاصةٌ ... ليدٍ، وقد كنتَ الكريمَ المُحسنا
أسديتَها بيضاءَ لا مُتنفجاً ... بالنعمةِ الكُبرى ولا مُتمنِّنا
وعرفتَ كيف تمدُّ جسراً من عنا ... لتُطلَّ منه على مروجٍ من هنا
وبصرتَ كيف تُغلُّ نقمةَ أمَّةٍ ... مكبوتةٍ لتكون فتحاً بيّنا
وغدا الخيالُ بك الحقيقةَ نفسَها ... تسعى، وعادَ المُستحيلُ الممكنا
من بعدِ ما أرخى الجُحودُ عنانَهُ ... غيّاً، وخامرَتِ الشكوكُ المُؤمنا
عمدَ الطغاةُ الغابرونَ فهدَّمُوا ... مجداً، ترعرعَ في دمٍ فتمكّنا
فجمعتَ من هَنّا وهَنّا لبْنةً ... فبنيتَهُ إنّ المكارمَ تُبتنى
غضرُ الفتوّةِ كالصّبا خشنُ الشَّبايا ... كشبا الحِمامِ، وكالمُروءةِ ليّنا
جامِعَ الضدَّينِ ليلا وادعاً ... مكراً، وصبحاً من جراحٍ مثخنا[1]

إنّ الشاعر قد اختزل جيش العراق في شخص ممدوحه، وهو من باب إطلاق لفظ العموم، الذي يراد به الخصوص، ثم يسرد مآثره وحسن فعاله، فهو صاحب اليد البيضاء من غير منّة، فقد استطاع بثاقب فكره مد جسور المحبة بين أبنائه لتتحول الثورة إلى فتح مبين، بها أصبح الخيال حقيقة ممكنة، من بعدما خامر اليأس النفوس، فراح يبني بهمته ما هدم الأشرار، فهو صاحب المآثر المتباينة، والمناقب المتناقضة، ذو باس شديد مع الطواغيت والمستبدين، وهيّن رحيم مع الفقراء والمحرومين.

أما في قصيدة (باسم الشعب) فيسمو الشاعر بممدوحه إلى آفاق بعيدة، فيصفه بأنّه السيد الذي صفع الطواغيت، وأذل الأوغاد، بعد أن فك العراق من أسرهم من بعد ظلم دام طويلا، فهو مهديّ هذا الشعب ومنقذه، ثم يتوجه إلى فتية العهد الجديد، ويأمرهم بالوحدة وبالمودّة والحرص على (الجمهورية) الفتية، وانجازات مؤسسها الذي هو رمز نهضة هذه الأمة، فيقول:

عصفتْ بأنفاسِ الطّغاةِ رياحُ ... وتنفَّستْ بالفرحةِ الأرواح
جدعتْ عرانيناً غِلاظاً فتيةٌ ... من يعربٍ غُرُّ الجباهِ صباح
ومشتْ على هامِ العبيدِ جحاجحٌ ... شُمُّ الأنوفِ يقُودها جحجاح
يا ماسخاً حلمَ الفراعنِ بكرةً ... شمطاءَ، وهي لدى العشيِّ رداح
السامريُّ بك استُذِلَّ وعجلُه ... و-الأجنبيُّ- وكبشُه النطّاح
يا مُهديَ الشعب المبرح نعمةً ... نِعَمُ الحياةِ بدونِها أتراح
يا فتيةَ العهدِ الجديدِ يضمُّهم ... في حومةِ العهدِ الجديدِ كفاح
لا تتركوا الوطنَ الحبيبَ لفُرقةٍ ... نهباً يُجاءُ بسرحِه ويراح

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 706.

وتحضَّـــنُوه، وان تفـــرَّى دونَـــه حضـــنٌ، وإنْ يَبَسَـــتْ عليـــه الـــرّاح
لمُّـوا الصـفوفَ عليـه يتّسـع المَـدى بكـــمُ وترحُـــبُ بالصـــفّوفِ السّـــاح
عبـــد الكـــريمِ وربّ فـــردٍ باســـمه عـــن كنـــهِ نهضـــةِ أمّـــة ايضـــاح[1]

أمّـا فـي قصـيد(أنشـودة السـلام) فيصـف الجـواهري ممدوحـه بالصـقر، والشـجاع، والواثق، والحذر، والألمعي، والعبقري، والحكيم، والمتواضع، والزاهد، والمحسن، فيقول:

جـيشٌ مـن السَّـلْمِ مـدَّ الجـانِحين لـه صـقرُ العـراقِ الشُّـجاع الواثِـقُ الحـذِر
الألمعـــيُّ، فســـوحُ الفِكـــرِ زاهيـــةٌ والعبقـــريُّ فـــوادي عبقـــرٍ نضِـــر
مـــوزّعُ الـــنفسِ بـــين الأمـــرِ يعقِـــده والأمـــرُ يحســـمهُ كـــلٌّ لـــه قـــدر
لا يزدهـــي أنَّ هـــذا الكـــونَ يعرفُـــه كمـــا تُعَـــرَّفُ فيـــه الشـــمسُ والقمـــر
ولا يُـــدِلُّ بمـــا أســـدى لأمّتـــه مـــن الجميـــلِ ولا يحتـــازه البطـــر
كأنّمـــا كـــان يعنيـــه " ابـــن باهلـــةٍ ويصـــطفيهِ وإنْ طالـــتْ بـــه العُصُـــر!
""طاوي المصيرِ على المعزاءِ مُنجرد" بـــالقومِ ليلـــةَ لا مـــاءٌ ولا شـــجر "[2]
تكفيهِ حلزة فلذانٍ ألمّ بها من الشواءِ، ويَروي شربهُ الغمر "[3]

أما في قصيدة (عيد أول أيار) بعد أن يبارك للعمال عيدهم، ونتيجة كفاحهم استقامت لهم دولة، تناصر مبادئهم، وتساند قضاياهم، وهي رمز للصلاح، ونموذج يحتذى بها، ثم يأمرهم بلم الشمل، وتوحيد الصفوف؛ ليتخذوا من ثورة (تموز) قاعدة الكفاح، ومنطلقا للنضال، متأسين بزعيمها الذي سيهزم في معركته دولة أصحاب الكروش المترهلة، والرقاب الغليظة، التي أقامت مجدها الكاذب، وإمبراطوريتها الموهومة، على أنقاض ملايين الجثث، التي تساقطت مثل أوراق الخريف في الحفرات، نتيجة القمع والاستغلال، فنراه يقول:

حيّيْـــتُ أيّـــاراً بعطـــرِ شـــذاتي وخصصـــتُه بـــالحضِنّ مـــن نفحـــاتي
مـــنكم علـــى الجثـــثِ اســـتقامتْ دولـــةٌ هـــي فـــي الصَّـــلاحِ نمـــوذج الـــدَّوْلات
حبـــتِ الصـــعاليكَ الحيـــاةَ وركـــزَّتْ أقـــدامهم فـــي قمَّـــةِ الـــدَّرجات
يـــا أيُّهـــا العمـــالُ لُمُّـــوا شـــملَكُم وتوزَّعُـــوا فـــرقاً علـــى الوَحَـــدات
مُـدُّوا بـــ " أيّـــار " وجمـــرَ كفـــاحكُم " تمـــوز " فهـــو مُسَـــعِّرُ الجَمَـــرات
وتنظّروا بطلاً وسيعاً حلمُهُ يسطيعُ مَحْوَ تظنني وشكاتي[4]

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 716.
(2) هذا البيت والذي يليه من قصيدة لأعشى باهلة.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 722.
(4) الأعمال الكاملة: 4 : 730.

وفي قصيدة (في عيد العمال)، يشير إلى ذات المعاني السالفة، ويذكرهم انه برغم ما تحقق على يد زعيمهم (قاسم) من انجازات لهم، غير أن أمامهم طريقا طويلا سيخوضونه بقيادة قائد ثورة (تموز) للقضاء على المستغلين، ولإقامة دولة الكادحين في الأرض كلها، فيقول:

مضى أمسِ حيث يقُصُّ الشيوخُ ... لأبنائهِم كيفَ عاش العبيد..!
مضى أمسِ اسودَ...من خلفِه ... وجوهٌ مضتْ تنطفُ اللؤمَ سُود
وفي يومِ " تموز " شُقَّتْ له ... وللعاكفينَ عليه، لُحود
وفي وهجِ " الثورةِ " المزدهاة ... تهرَّتْ من المُتخمينَ جلود
وأنتم وإنْ حُمَّ[1] فرضُ الوفاءِ ... بأنْ حلَّ عهدٌ...وولَّتْ عُهود
وأنْ قد تبنَّاكُم أصيدٌ ... زعيمٌ بما يتبنَّى عَميد
فإنَّ وراءكُم غاية ... ستُطوى مفاوزُ منها وبيد
غداً إذ تجرّ الصفوفَ الصفوفُ ... وإذ يستثير الوقيد والوقيد[2]
وإذ يستقيمُ من الكادحـ ... ـين المستغلين حكمٌ وطيد[3]

لقد خيّم طيف (الزعيم) على عالم الجواهري، فرأى فيه أنّه يصلح أن يكون نموذجا تحتذي به الشعوب التي تبغي الخلاص والانعتاق، لذا نراه يوجه تحية إلى(الجزائر) باسم ثوار العراق، وباسم الذي أطاح بالعهد الملكي. فتحدى القيود والسجون، انقض كالنسر يهدم عروش الاستبداد والعار، ويزرع فيما بين النهرين الحب والخير، فيقول:

أحيّيكَ باسمِ الثائرينَ وباسمِ مَن ... تحدّى قيودَ السجنِ وانقضَّ كالنسر
يدكُّ عروشَ الظُّلمِ والعارِ والخنا ... ويزرع وادي الخصب بالحب والخير[4]

أمّا في قصيدة (المستنصرية) فيبلغ الجواهري الذروة في وصف ممدوحه، متجاوزا فيها كل مقاييس العقل والمنطق، وفيها يقول:

أعدْ مجدَ بغداد ومجدك أغلبُ ... وجدِّدْ لها عهداً وعهدُك أطيبُ
وأطلعْ على المستنصريةِ كوكباً ... وأطلعته حقاً فإنّك كوكب
أقمتَ بها عزّاً عريقاً مكعّباً ... وكان بها ذلٌّ عريقٌ مكعّب
ويا ربَّ تموز نزلتَ بليلهِ ... على السحرِ الريّانِ ناراً تلهب
بأسحارِ بغداد تغنّى عوالمٌ ... وذِكرك من أسحارِ بغداد أعذب
وقفتَ به التاريخَ تحصي ثوانيا ... بها رُحتَ تُملي والمقاديرُ تكتب
أبا كلِّ حرٍّ لا أبا الشعبِ وحدَه ... إذا احتصنَ الأحرارَ في أمَّة أب

---

(1) حم: حان ووجب.
(2) الوقيد: الحطب المشتعل.
(3) الأعمال الكاملة: 742.
(4) بحثت عنها في دواوينه فلم أجد لها أثرا، ووجدتها في كتاب (الثورة الجزائرية في الشعر العراقي): 65.

ورائـدُها " عبـد الكـريم بـنُ قاسـمٍ " يبـاركُ يومَيـه "الحسـين " و" مُصـعب "
لـك الخيـرُ إنَّ الشـعر كـالنبعِ سَلسَـلا إذا فـاضَ منـه جـدولٌ يتشـعَّب
مشـت بـي " سـتون " ومـاذا وراءهـا سـوى المـوتِ يبغـي اجنـفَ الخطـوِ أشـيب
كأنّي فيهنَّ ابنُ يومٍ فلم يكنْ سوى يومِ تموز من العُمرِ يُحسب[1]

وأقرّ (الجواهري) بمبالغته تلك في مذكراته قائلا: ((قدّمني عبد الكريم إلى الحشد الحاشد وليقول بالحرف الواحد، ها نحن نعيد أمجاد (المستنصرية) وبيننا الأستاذ (الجواهري) والتي زايدت فيها أنا بالذات أيضا حتى على أبلغ ما بالغ به (المتنبي) في أجمل مواقفه مع سيف الدولة))[2]. ومهما يكن من قول فإنّ هذه القصيدة كانت آخرقصائد الجواهري في ممدوحه، حيث غادر بعدها العراق لجفوة بينهما، ليبدأ بذلك مرحلة جديدة في حياته ألا وهي هجاء (عبد الكريم قاسم ).

## ثانيا : هجاء ( عبد الكريم قاسم )

مرة أخرى يجد الشاعر نفسه في مواجهة الحاكم، وهذه المرة فقد شاءت الأقدار أن يصبح الشاعر الذي أنضج الثورة، خصما مباشرا لقائد الثورة الأوحد، لتكون ثورة تموز- التي استبشر الشاعر بها خيرا - أشد مأساة نزلت به على مدى مسيرة حياته، فهي عرسه الذي أصبح مأتمه، بعد أن كرس كل طاقاته الشعرية من أجلها[3]؛ ليكتشف الجواهري بعد فوات الأوان، أن تأييده لـ (عبدا لكريم) كان خطأ؛ لأنّ الاندفاع في القضايا الكبرى - على وفق مفهومه - يؤدي إلى المرارة لكون المجتمع الذي يحياه مجتمع أحقاد ومصالح وعلاقات غامضة لا يسمح لمثله بالتألق[4]، بل يتجاهل وبشكل متعمد آثاره، محاولا في الوقت نفسه إزاحته بأي شكل من الأشكال، نتيجة الخوف من أرائه المتحررة، بوصفها حجر عثرة[5] فضلا عن الغرور الذي أصاب حاكم الثورة، مما أدى به إلى ارتكاب حماقات متكررة في حق شاعره[6]، الذي اعترف أنّ معاناته في زمن (قاسم) إنّما كانت بسبب مزاجيته، وارتجاليته، وحبه للانتقام، والتفرد بالسلطة. فشخصيته على الرغم من وطنيتها إنها متناقضة، مزدوجة، لا تخلو من العقد والميكافيلية[7]. يقول الجواهري: ((فعقلي يعجز عن

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 749.
(2) مذكراتي: 2 : 277.
يذكر الدكتور(الاعرجي) أن القصيدة كانت ردا على خطاب (عبد الكريم قاسم)، الذي ألقاه في نقابة الصحفيين، والذي لمّح فيه بأنه سيستوزره، وبجملة أخرى فقد داعب (عبد الكريم قاسم) أحلام الجواهري التي كانت قد لازمته (أربعين) عاما في أن يصبح وزيرا. ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 176. وينظر: مذكراتي: 2 : 267.
(3) ينظر الجواهري وسيمفونية الرحيل : 270.
(4) ينظر: مذكراتي : 2 : 170.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 2 : 256.
(6) ينظر: في رحاب الجواهري: 64.
(7) ينظر: مذكراتي: 2 : 183، 205.

عن إدراك ما وقع، إذ كانت الأحداث تسير بعكس المنطق، ولم تبق إهانة إلّا ذقتها، اندفعت بعفوية وراء (قاسم) لحماية من معي، ولكني دفعت الثمن، نتيجة الارتجال والتعجل، وتحملّت ما لم يستطع احد تحمّله.))[1] ومما ينبغي ذكره في هذا المجال أنّ الجواهري قد اتهم في أقل من (عامين ونصف) بأكثر من تهمة في العهد (الجمهوري)، وسيق إلى أكثر من محكمة، وأكثر من (ست) صحف أو (سبع) صحف تشتمه كل يوم. إذ في كلّ لحظة مرارة كانت تدفعه إلى الفرار من الحاكم المطلق[2]غير أنّ الحقيقة التي أود قولها، أنّ هناك أسبابا جوهرية أخرى تكمن في تدهور العلاقة بين الشاعر والحاكم، منها مقالاته الصحفية، التي كانت تمس النظام الحاكم مباشرة، مثل مقالة(مظلمة)و(إلى الزعيم العبقري) و(ماذا في الميمونة)، مما أثار حفيظة(عبد الكريم) وبعد احتدام النقاش بينهما، قال له الجواهري: يا سيادة(الزعيم)ثورة وبشرطة(نوري سعيد) فرد عليه(عبد الكريم وأنت من بقايا(نوري سعيد)سأكشف أوراقك يا جواهري، فقال له(أتحداك) يا سيادة (الزعيم)[3].وليست هذه الحادثة هي الوحيدة التي وقف فيها الجواهري، متحديا عبد الكريم((فقد سبق في الماضي افتتاح مؤتمر نقابة(الصحافيين)أن هاجم (قاسم) الصحافة، وكان الجواهري في أثنائها نقيبا(للصحافيين)فما كان منه بعد أن انتهى (عبد الكريم) من كلمته حتى لفّ الجواهري ورقة خطابه المكتوب الذي كان يزمع إلقاءه، وارتجل خطابا آخر، يصفه الذين سمعوه بأنه:فيه من الجرأة شيء فظيع.))[4]، يقول الجواهري: ((لقد امتنعت الصحف عن نشر الكلمة المرتجلة، وقد دفعت ثمن المواجهة))[5]، واتهم الجواهري عبد الكريم بأنه قد شن حملة شعواء على الصحف النظيفة[6]، ويقصد بها صحف المعارضة، فكان ذلك المؤتمر بداية لنهاية علاقته بقاسم[7]، وتوسعت هوة الخلاف الخلاف بينهما بعد ذلك، وكتب الجواهري في جريدته مقالا:(ماذا بعد أيها الزعيم، متهما فيه(الزعيم)بأنه يحارب الكلمة الحرة، مستذكرا إياه بأنّ ما كان مسموحا نشره في أيام العهد البائد، قد منع في عهده[8]، ونتيجة لتلك الانتقادات ضيّق عليه من قبل أجهزة أمن الدولة، بعدما أحاطوه بعيونهم، لتراقب حركاته وسكناته[9]، واتّهم الجواهري عبدا لكريم لكريم بتحريض أتباعه على ضربه بآلة جارحة، وسرقة أثاث بيته، وإجباره على بيع أثاث جريدته، لسداد دينه، نتيجة مؤامرة، كما استدرج بالتهجم على شخص (عبد الكريم) في

(1) المصدر نفسه: 2 : 244.
(2) ينظر: مذكراتي: 2 : 240، 250، 264، 171.
(3) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 76.وينظر: الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: 143. 143. وينظر: مذكراتي : 2 : 63.
(4) الجواهري ذكريات أيامي: 63.
(5) مذكراتي: 2 : 245.
(6) ((كان الحزب (الشيوعي)يسيطر على الصحف التالية: ويوجهها في خدمة أغراضه: البلاد، صوت الأحرار،الأخبار،صوت الشعب، الرأي العام ))الصراع بين عبد الكريم والشيوعيين: 124.
(7) ينظر: مذكراتي: 2 : 251.
(8) ينظر: مذكراتي: 2 : 178.
(9) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 184

منزل (أحمد الأوقاتي) ليسجل حديثه في شريط يقدم إلى عبد الكريم، يتحدث فيه طويلا عما كان من (المتنبي) مع كافور وما كان من (كافور) مع (المتنبي) حتى ليلة هربه تحت جنح الظلام[1]، وقد صور الجواهري تلك الحادثة في مقطوعة شعرية ثم نشرها، ثم وضعت أمام الزعيم في إطار أحمر، وفيها يقول :

سيسبُّ الدَّهرُ والتأ ... ريخُ مَن أغرى بسبّي
لا الأولى سبُّوا فهم عبـ ... ـدان عبدان لرب
يالخزي المشتلي كل ... با لسبِّ المتنبي
ـعِرض " كافورٍ " تهرَّى ... وله مليونُ كلب[2]

ولم يكن الجواهري ليتجرأ على زعيمه، لولا أنه وجد أرضيّة ممهدة، تمكّنه من قول ما لا يقال فيه. إذ أنّه على الرغم من جرأته، فقد كان يقيس الأمور بمقاديرها، فلا يتجاوزها إلا بعد اختبار، وصولا إلى النهايات المسموح بها، لذا نجد أنه قد مهدّ لمقطوعته تلك بمقطوعتين يخز فيهما (قاسم) بوخزات تمكنه من الوقوف على حدود صبر مهجوه، ومدى تحمله، حيث قال في الأولى:

قالوا انتصرَ الطبيب ... على العسيرِ من الأمور
زرعَ الجماجِم والقلو ... ب وشدّ أضلاع الصدور
فأجبتهم: ومتى تلوحُ ... طلائعُ النصر الأخير
زرع الضمائر في النفو ... س العاريات عن الضمير[3]

وقال في الثانية :

عندما أبصرتُ نيرا ... نـاً من البغيّ تُشبّ
والى القمّة من في ... كفِّه زيتٌ يصبّ
والى الهوة من ... يدفع عنها ويذب
قلت - والسجن بغيضٌ - ... ربيَّ السجنُ أحب!![4]

لقد ضاق كلاهما ذرعا بالآخر وأخذ كل واحد منهما يصعّد من مواقفه تجاه الأخر في معركة غير متكافئة، فهذا يخوض غمار معاركه بسلاح شعره، وذاك بقوة سلطانه وجبروته، وبطبيعة الحال وبحكم المنطق لم يستطع الشاعر الثبات طويلا بعد أن تحوّل الحاكم إلى شبح مرعب يطارده في نهاره، وكابوس مخيف يخيم عليه في ليله، حتى بات يجد في الموت حلاوة تنقذه من مرارة الحياة، إذ كان ينادي كل صباح: (ألا موت يباع

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 267، 269.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 749.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 747.
(4) الأعمال الكاملة: 5 : 748.

فاشتريه.)[1] وقد وضعه الحاكم بين خيارين أحلاهما مُرّ، إمّا الموت في الداخل، وإما الموت في الغربة، ولم يكن أمامه من بدّ إلا اختيار ما هو أقل مرارة وهو الفرار من البلاد والنجاة بحياته اتقاء الأسوأ، وفي ذلك يقول :

ذممتُ مقاميَ في العراق وعلّني ... متى اعتزمْ مسراي أن أحمد المسرى
لعلّي أرى شبراً من الغدرِ خالياً ... كفاني اضطهاداً إنّني طالبٌ شبرا [2]

وتوافقت رغبة رحيله من العراق، مع ما أبلغ به من وفد الممثلية (الألمانية) من أنّ هناك معلومات مؤكدة تفيد بأنّ (عبد الكريم قاسم) يبغي تصفيته جسديا، فوجد من الأنسب التعجيل بمغادرة العراق لا سيما أنّه في الوقت نفسه قد وجهت له دعوة من (لبنان) لحضور حفل تأبين الشاعر (الأخطل الصغير)، فاتّخذ منها ذريعة؛ كي لا يقال إنّ الجواهري قد هرب، وبعد أن نال جوازه وحلّقت به الطائرة إلى (لبنان) ومنها إلى (براغ)[3] لم يكن الجواهري ليصدق ذلك ، حيث يقول :(( إنّ كل شيء لم يترتب حتى والطائرة مرتفعة عاليا عن أجواء (بغداد) قبل أن تحط في مطار (بيروت) فما يدريني أنْ قد تنبّه جهاز أمن (كريم قاسم) لخلاصي من براثنه بأنْ تؤمر الطائرة لتعود إلى بغداد))[4] وهذا النص يكشف لنا بوضوح عن مدى رعب الشاعر من حاكمه آنذاك[5]، ومما يعضد هذا القول، هو أننا لم نجد في هجائيات الجواهري في أثناء وجوده في ظل حكم (قاسم) تلك النبرة القاسية التي كان يهجو بها ملوك العهد السابق ورجالاته، بل وبعد تحري قصائده لتلك الحقبة لم أجد ما يدل على هجاء (قاسم) إلّا تلك المقطوعات الثلاث، التي ذكرتها، وهي في حقيقتها لا تدل على الهجاء، إلا بالإشارة البعيدة. وهذا يعني أنّ الشاعر كان مدركا تماما، بأنّ حاكمه لم يكن ليتورع عن قتله، إذا ما أوغل في هجائه[6]، لذا كان حذرا ومحتاطا فيما يقول، ولكنه ما أن غادر العراق في عهده، حتى انفجر كما ينفجر (البركان)، ليصبّ حمم شعره على رأس مهجوه، وليقول فيه ما لم يقله في أحد من الحاكمين. ففي قصيدة، (لبنان يا خمري وطيبي) يشكو لصنوه الشاعر اللبناني (بشارة الخوري) حالته التي كان عليها في العراق ، أيام (قاسم) بقوله:

---

(1) مذكراتي: 2 : 283.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 270.
(3) ينظر: مذكراتي: 2 : 281، والجواهري شاعر التجديد والثورة: 108، والجواهري دراسة ووثائق: 193، وفي رحاب الجواهري: 138، والجواهري فارس حلبة الأدب: 188.
يقول الجواهري: ((عنادي ومزاجي الحاد العنيف، كان يبقيني في العراق، كنت استطيع الخروج منذ (30) سنة قبل هذا)) الجواهري ذكريات أيامي: 57.
(4) مذكراتي: 2 : 281.
(5) ينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 76.
(6) إنّ عبد الكريم الذي أقدم على سجنه دون تردد أفرج عنه بكفالة نقدية زهيدة مقدارها درهم واحد إمعانا إمعانا في إهانته واحتقاره، هو نفسه الذي لم يكن ليتردد في قتله إذا تجاوز حدوده.ينظر: المصدر نفسه: 77.

لبنـــــــــانُ يـــــــــاوطني إذا حُلِئـــتُ[1] عـــن وطنـــي الحبيـــب
أبشـــــــــارةٌ وبأيّمـــــــــا شـــكوى أهـــزُّك يـــا حبيبـــي؟
هـــل صـــكَّ ســـمعك أنّنـــي مـــن رافـــديَّ بـــلا نصـــيب
فـــي كربـــةٍ وأنـــا الفتـــى الـــ ـــــممراح فـــرَّاجُ الكـــروب[2]

إنّ تلك الأبيات لم تكن إلا بمثابة مقدمة يعري بها حكومة (قاسم) لتعريف المجتمع العربي، بحقيقة ما آلت إليه الأمور داخل العراق، من قمع، واضطهاد. وما أن أراح ركابه في (براغ) حتى راح الجواهري يشرح للآخرين تفاصيل الظلم الذي لحق به، مبتغيا من ذلك تجسيد البشاعات، وتمثيل المواقف وتصويرها في قوالب أدبية تهز الروح، وتأسر الوجدان ، كما في قوله:

آبـــى الهضـــيمةَ واســـتباحَ هضـــيمتي فيمـــا اســـتباحك أحمـــقٌ متجـــرّم
ألـــوى بمـــن عنـــدي وعنـــدي صـــفوةٌ هـــي مـــن أبيـــه وذويـــه أكـــرم
ورمـــى بهـــم خلـــفَ الحـــدودِ كـــأنّهم بُـــرُدٌ إلـــى الأمصـــارِ عجلـــى تـــرزم
وأشـــاع لحمـــي للـــذِّئابِ ولحمُـــه وحمـــى لحومـــاً بالنتّانـــة تـــزخم
ودعا الجباةَ إلى حُطامِ حُويشةٍ لتُباع ملحفةٌ ويُشرى محزم[3]

وعندما انتهى الجواهري من قصيدته سأله (التيجاني)[4] الذي كان من أشد المعجبين بـ (عبد الكريم): ((أحقا ما تقول يا جواهري قلت له ياسيدي كما سمعت ، .. فما كان منه إلّا أن لطم جبهته بيده))[5] ثم راح الجواهري، يرنو إلى آفاق بعيدة مفهما من حوله، بأنّ موقفه من (عبد الكريم) لم يكن نابعا من مسألة شخصية، وإنما كان موقفا سياسيا يشاركه فيه الآخرون))[6]فهو في ذلك يبغي تأسيس قاعدة جماهيرية منضبطة بأفكار بأفكار وأيدلوجيات، تمكّنه من خلالها القضاء على ثورة(قاسم)، كما في قصيدة:(أيه شباب الرافدين)وفيها يقول:

ضـــــمّوا صـــــفوفَكم ولُمـــــوّا مجـــــداً إلـــــى مجـــــدٍ يُضنّـــــم
إيـــــهٍ شـــــبابَ الرافديـــــ ـــــنِ وأنـــــتمُ الشـــــرفُ الأتـــــمُّ
يـــــا موقـــــدي سُـــــرُج الـــــدما ءِ إذا دجـــــا ليـــــلٌ أغـــــمّ
ومشـــــى الصـــــريخُ يهـــــزُّكم يـــــا فتيـــــة الـــــوادي هلمّـــــوا[7]

(1) حلئت: منعت.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 754.
(3) مذكراتي: 2 : 302. بحثت عنها فلم أعثر عليها في ديوانه ولعلها من قصائده المحذوفة.
(4) ينظر: مذكراتي: 2 : 281.
(5) مذكراتي: 2 : 302.
(6) الجواهري دراسة ووثائق: 193.
(7) الأعمال الكاملة: 5 : 759.

ثم يتوجه إلى (قاسم) ليصفه بالصنم الحقود، الذي سيكون مآله كمآل (فرعون) و (نيرون) وغيرهما من الطواغيت ممن تلعنهم الأجيال، حيث يقول في القصيدة نفسها

يـــا أيُّهـــا الصـــنمُ الحقـــو دُ أأنـــتَ للتـــاريخِ خصـــم
لـــم يبـــقَ مـــن جبـــروت " فـــر عـــون " ولا " نيـــرون " رســـمُ
حرفـــان للتـــاريخ يعـــ ـــتورانه " بـــئس " و" نعـــم "
وبمـــا تصـــرّف منهمـــا فـــي النـــاس تمـــدح أو تـــذم[1]

ومن ثم راح يتميز غيظا على أبناء قومه، وقد طال سكوتهم على الظلم الذي دخل كل بيت عراقي، ثم راح يتساءل، لماذا تثور شعوب وتخمد أخرى؟ لذا نراه يقول في قصيدته، (يا نديمي):

يا نديمي كـلُّ الحـروفِ تخيفُ
في دساتيـرَ شرَّعتـها السيوفُ

يـــا نـــديمي :وأمـــة تثِـــبُ ثـــم تغفـــو لَقِصَّـــةٌ عَجـــب
عجبـــاً كيـــف ينخـــرُ الســـغبُ فـــي عظـــامٍ كأنّهـــا قصـــب
نهـــزةٌ للريـــاحِ تنتحـــب فـــإذا هـــزّ عودهـــا غضـــب

آذنـت للعُيـونِ بالـشـرر
ثـم تغفـو فليس من خبر[2]

وعندما استيأس من خطابه المحرض على الثورة، ((توجه به إلى الواقع الموضوعي، المتمثل بدجلة الغاضبة، التي تلسعها سياط البغي، فتلوث ماءها وصفاءها))[3] إنّ يعلم ويلم بكل ما يغلي فيها من حنق، إن سياط البغي والبطش بالناس تنقع وترطب في مياهها الطاهرة، وخيول العدوان والبطش تلغ – وكأنها الكلاب العاوية – فيها لتغير على القرى والمدن الآمنة.وإنّه يدري بكل ما تطفح به مساربها ومجاريها من بؤس وألم وتمزق.إنّ دجلة على الرغم من كرّ الدهور واختلاف العصور، وتبدل الأنظمة تبتلى بحكم السلاطين المستبدين، وتهزأ بهم وبحكمهم، وأنّ أرواح الفراعنة الطغاة، ما زالت ترفرف على سماء الشرق العربي كله، وكأنها تتفلت من توابيتها ونواويسها فيقول:

يادجلـة الخيـرِ مـا يُغليـك مـن حنـقِ يُغلـي فـؤادي، ومـا يُشـجِيكِ يشـجيني
مـا إنْ تـزالُ سـياطُ البغـيّ مُصـبحةً فـي مائـكِ الطُّهـر بـين الحـينِ والحـين
ووالغـاتٌ خيـولُ البغـيّ مصـبحةً علـى القـرى آمنـاتٍ والـدهاقين
أدري بأنّـك مـن ألـفٍ مضـتْ هـدراً لـلآن تهـزَيْنَ مـن حكـمِ السـلاطين
تهزينَ إنْ لم تزلْ في الشرقِ شاردةً من النواويسِ أرواحُ الفراعين[4]

---

(1) الأعمال الكاملة: 5: 792.
(2) الأعمال الكاملة: 792: 5.
(3) المكان الأليف في نونية الجواهري : عبد الهادي الفرطوسي: 3، بحث مقدم إلى اتحاد الأدباء والكتاب والكتاب في العراق بتاريخ 2003/3/27.
(4) الأعمال الكاملة: 5 : 775.

ثم يسرد الجواهري صورا يستهزئ فيها بطغيان (قاسم) وجبروته، كما استهزأت به (دجلة) حيث يقول في قصيدة (ياندیمي)

ياندیمي: وقلْ لطاغٍ عتيٍّ ... اِقضِ ما شئتَ لا تشلَّ يداكا
وزِّعِ الموتَ بين هيٍّ وبيٍّ ... جعل اللهُ من عَداكَ فِداكا
تجِدِ الناسَ كلَّهم ما عداكا ... لا يساوون من نعالٍ شِراكا[1]

ثم يمضي الجواهري ليقول بأنّ عهد (قاسم) من أشر العهود التي مرت على العراق، وأنّ الورى، باتوا يحنون إلى العهد الملكي البائد، لما لاقوه من بطش على يد الحاكم، الذي أخذ كل مساوئ العهد الملكي وزاد فيها، حتى لجم الافواه وكتم الأنفاس

ياندیمي أمسِ استبدَّتْ طغاةُ ... سُلِّطتْ أربعينَ عاماً وعاما
لُويتْ بالجموعِ منهم قناةُ ... بعدها عنَّتِ الحياةُ لِماما
حُلُماً ثم بدَّدتْه عتاةُ ... سنّتِ البغيَ من جديدٍ نظاما
فتمنَّتْ خلائقٌ أن تُساما ... بغيَ ماضين هم أخفُّ انتقاما[2]

ثم يكشف الجواهري أنّ رحيله عن أرض العراق، إنّما كان بسبب ذلك الظلم الذي يأباه، وليس من العار الهروب من منحطين، فهو كالنسر يتعالى على من هو ليس بكفءٍ له، ومن كان هذا مقامه ودأبه، فإنّه يأبى مداراة الزنيم الذي لا يساويه في شيء، أنى وهل تساوي الديدان الصغار صقور البيد، فنراه يقول :

تخذَ الغربةَ داراً ... إذ رأى الذُّلَ إسارا
إذ رأى العيشَ مدارا ... ة زنيمٍ لا يداری
يا غريبَ الدارِ يا مَن ... ضربَ البيدَ قِمارا
ليس عاراً أنْ تولَّى ... من مسفِّينٍ فِرارا
جافِهمْ كالنِّسرِ إذ يأ ... نفُ ديداناً صِغارا
ونفوسٍ جُبلتْ طينتها ... خزياً وعاراً
خلِّها يستلُّ منها الـ ... حقدُ صُلباً وفَقارا
خلِّي مسعوراً وما استكـ ... لبَ ..لا تشْفِ السُّعارا[3]

إنها قصيدة تطفح عليها هموم جائرة، وتتدفق بالآهات الحائرة مع أنه يحيا حياة عزيزة كريمة في (براغ)، ولكن إحساسه بالبعد عن أهله وصحبه ووطنه قد جعل من تلك الحياة الهانئة جحيما لايطاق، ولولا عزة نفسه، وإباء شخصه، لما اختار الغربة دارا له، وإنها لأهون عليه - برغم ما فيها - من أن يعيش أسيرا في وطنه لدى كل وغد زنيم من المتسلطين على ذلك الوطن. غير أنّه - برغم رضائه المرّ- توجه باللوم والعتاب على بلده،

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 812.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 811.
(3) الأعمال الكامل: 5 : 837.

وعلى المقربين من أهله وصحبه ممّن رضوا بمنطق الجور المجانب لنواميس الكون ومقاييس المجتمع، إذ كيف يصح في لغة أهل المنطق، وأرباب اللب، أن يصبح النابغ ضحية البليد، والصقر طريدة الغراب؟!!! إنّ هذا لشيء عجاب، لذا نراه يقول :

أنا في عزّةٍ هنا غيرَ أنّي ... في فؤادي ينزُّ جرحُ الشريد
لي عتابٌ على بلادي شديدٌ ... وعلى الأقربين جِدُّ شديد
أفصقرٌ طريدةٌ لغرابِ ... ونبيغٌ ضحيةٌ لبليد
يا لبغداد حين ينتصفُ التأريخُ ... من كلِّ ناكرٍ وجَحُود[1]

ثم ينصرف الجواهري قليلا عن همومه؛ ليستمتع بما هو فيه من نعيم مقيم، وظلال وارفة، وحور عين، وكؤوس مترعة، أعتقت روحه من أسار الغربة، وهموم الماضي؛ ليجد نفسه حرا طليقا، حيث لا وغد يبتليه، ولا واش يعكر صفوه، فيقول في قصيدة، (أحرام):

أحرامٌ عليَّ " مونخُ " أنْ أشربَ كأساً وأنْ أغنِّي حياتا
دون أنْ ابتلى بوغدٍ وأنْ أخشى رقيباً، وأنْ أخاف وشاتا؟ [2]

وفجأة يستفيق الجواهري من غفوته؛ ليجد نفسه ثانية في زحام الكوابيس التي عكرت صفو حياته، ليلوذ ببغداد ثانية، علّ الشمس تشرق عليهما من جديد، بزوال حكم الطواغيت ليرتاحا معا، وتلك هي النهاية المرضية لهما، إذ يقول :

يا دجلة الخير كمْ من كنزِ موهبةٍ ... لديكِ في القُمقمِ المسحورِ مخزون
لعلَّ تلك العفاريتَ التي احتجزت ... محمّلات على أكتافِ "
لعلَّ يوماً جارفاً عرِما ... دلفين "آتٍ فترضيكِ ويُرضِيني[3]

ولم تمض سوى أشهر، وإذا بنبوءة الشاعر، تأتي كفلق الصبح، إذ يخبره صاحبه (عزيز الحاج) يوم (8) شباط، بمصرع (عبد الكريم قاسم) وزوال (جمهوريته) ليقول له الجواهري: ((بشرك الله بالخير، سأسرج الشموع))[4]، إنّ هذه الكلمات لتعبر بوضوح عن عن مدى المرارة التي كان يعانيها الشاعر على مدى سنوات عجاف، تحمّل فيها ما تحمّل من ويلات الغربة وعذابات الحرمان .

---

(1) الأعمال الكاملة: 5 : 771.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 831.
(3) الأعمال الكاملة: 5 : 776.
(4) مذكراتي: 2 : 301.